نهاية رحلة الأحلام

أدب الجماهير

كتاب أدبي يشرف عليه:
فؤاد حجازي

المراسلات :
المنصورة – ش المندراوي .
عمارة الفردوس .
جوار مدرسة الشيخ حسنين
الرمز البريدي ٣٥١١١
ت : ٢٢٤٧١٦٨ / ٠٥٠

محمد خيرت حماد

نهاية رحلة الأحلام

- السلسلة : أدب الجماهير
- الكتاب : نهاية رحلة الأحلام
- القاص : محمد خيرت حماد
- الطباعة : دار الإسلام للطباعة والنشر
- ت : ٠٥٠ / ٢٢٦٦٢٢٠
٠١٢٢٦١٤٣٦٣

- رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٢٠٨١٣
- ترقيم دولى : 977-374-131-1
- لوحة الغلاف : أنجى أفلاطون

((الحـــريـــــق))

--- (١) ---

لم يكن باستقباله أحد ، فلم يهتم ،، متى كان يعنيه احـــد ؟ !
أغلق باب الدار ،، ولج إلى الحجرة التي على اليسار . رقـد
على إحدى الأريكتين المتقابلتين ، بعد لحظات ،، و كأنمـــا
كان قد نسى شيئا و تذكره لتوه ،، نادى على أبنته . طلـــب
منها النوم على الأريكة الثانية ، لم يكن أثاث الـــدار بـــالذي
يذكر ، الأريكتان ،، و على كل منهما غطاء رث يفـــــرش
عليها صيفا ، و يتخذ منه غطاءا شتاءا ، ووسادتان باليتـــان
،، ووسط الدار (طبلية) صغيرة توضــــع علـــى الأرض
عند تناول الطعام ، أن كان هناك ما يعد للوجبات ،، و لـــم
يقتصر الأمر على رغيف من الخبز و قطعـــة جبـــن ،، أو
عود من الخضر أو إحدى حبات الطماطم التي قاربت التلـف
، أما الحجرة الثانية ، المقابلة للأولى ،، فتستخدم كمخـــزن
لأقفاص الخضر و الفاكهة التي جعل من أمـــام بـــاب الـــدار
موضعا لعرضها و بيعها ، أراح ظهره ،، و مـــدد ســـاقيه
،، فرد طوله كله فملأ سطح الأريكة طـــولا و عرضـــا ،
اغمض عينيه ،

تلك أول ليلة له بعد خروجه من الليمان ،، حيــــث قضـــى
ثلاث سنوات أشغال شاقة ، لإلقائه موقد الجاز على زوجته

فأشتعلت فيها النيران دون أن يمد لها يد المساعدة . و قد شهدت ابنته على ذلك .. و أقرت به أمام المحكمة.. حيث استدرجها القاضي و قصت عليه كل شئ .

و بقيت زوجته بضعة اشهر عند أهلها بعد الطلاق إلى أن تزوجت .. و أخذها زوجها إلى بلد بعيد . و بقيت البنت عند خالها .. حتى خرج أبوها .. فجاءت إلى البيت صباح يوم خروجه .. و قامت بتنظيفه و جلست في انتظاره . مد يده .. يتحسس بها رأسه الحليق .. مرت على موضع قطعة العظم المكسورة من جمجمته . لا ينسى أبدا .. يوم ضرب بالفأس على رأسه في مشاجرة مع جيرانه على ري الأرض حاول أن يسبقهم في الدور .. فتجمعوا حوله و انهالوا عليه بكل ما تصل إليه أيديهم و تركوه غارق في دمائه .. ورووا أرضهم كأنهم لم يفعلوا شيئا . إلى أن ابلغ أحد المارة الإسعاف و لم يشهد معه يومها أحد .. أو يصدق على قوله .. فلم يستطع أن ينال منهم حقا . و سجلت ضد مجهول لكثرة مشاغباته السابقة مع خفر النقطة و من يومها . بعد أن عاد من المستشفى باع الأرض و احترف تجارة الخضر و الفاكهة على مستوى المنطقة التي يعيش فيها . لم يشغل ذهنه كثيرا بالمستقبل .. فبعد أن جاوز الأربعين بقليل

ما عليه الا أن يبحث عن امرأة تقبل العيش معه ، تعاونه في الحياة ، أما أم محمد ،، ابنته ،، فما زالت صغيرة .

حقا ،، بدت عليها ملامح الأنوثة الباكرة ،، لكن خمسة عشر عاما ،، ليست بالكثير ، كما أن يدها ستكون معنا في كل شئ ، لكن قد يكون صعبا أن اجد من تقبل بى زوجا و خاصة بعد ما عرفت البلدة كلها أننى الذى اشعلت النار في زوجتى السابقة ، آه ،، كانت امرأة بحق ،، بياض و صحة ،، و متعة ، كان عيبها الوحيد انها كانت احيانا تعاند معى ،، لم تعاملنى على قدر عقلى ،، و خلقى الضيق ،، دلالا منها ربما ، لكن عندما كان يضيق خلقى لم أكن ارى ما أمامى ، ندم على ما فعله معها كثيرا بعدما هجرته ، كما أن الحريق لم يطل من وجهها الصبوح ، فلم يؤثر على جمالها ، كان يتمنى أن تبقى عليه و تنتظره لأنه كان يحبها بحق ، لكن اخاها دفعها إلى طلب الطلاق و رفعت قضية عليه تتهمه بحرقها ، على كل ،، البلد كلها نسوان ،، لن اعجز عن أن اجد واحدة ، عند ذلك تذكر ثانية ،، وجود ابنته معه في الحجرة ، فهتف بها ،

- أم محمد ، فلما أجابته ، نعم يابا ، صمت لحظة ،، و هرش رأسه ، كلمه يابا هذه لم يسمعها من قبل ، فقد تركها صغيرة ،

- نامى ٠٠ حتى تنهضى معى باكرا لكى نذهب للســــوق لنشترى شوية طماطم على شوية خضراوات ٠

--- (٢) ---

عندما دخل عليها الحجرة ٠٠ كانت ممــــدده علـــى إحـــدى الأريكتين ٠٠ لا تدرى ما تفعله ٠ فلا يوجد طعام لاعـــداده له ٠ كل ما كان بالدار كسرتا خبز ٠٠ احضرتهما من بيـــت خالها عند مجيئها ٠ تسد بها غائلة الجوع حتى حضور أبيـــها ٠ لم تكن تتذكر ملامحه على وجـــه التحديـــد ٠ مشـــاعرها تجاهه مبهمة ٠ فلا تعرف ٠٠ هل هى مشتاقة إليـــه ام لا ٠ كل ما تدركه انها تخشاه و تخاف حضوره ٠ ليتـــه لا يـــأتى فمشهد ألقائه وابور الجاز على امها ما زال حيا في ذاكرتـــها. و النار مشتعلة فيها و هى تصرخ على صريخ امــــها ٠٠ و هو واقف لا يتحرك ٠٠ إلى أن حضـــر الجـــيران و قـــاموا بأطفاء النيران عن امها ٠ عندما دخل عليها الحجرة ٠٠ لـــم تعرفه ٠٠ نهضت فزعة ٠

تسأله ٠

- أنت مين ٠
- أنا ابوك ٠
- قالها و قد جلس بجوارها على الأريكـــة ٠٠ يتفحصـــها بنظراته ٠٠ صمتت ٠٠ صمت لحظات ٠ لـــم تعـــرف

خلالها ماذا تفعل ٠ أتقوم تصافحه ٠٠ تسلم عليه ٠ تقول له حمدا لله على السلامة يابا ٠٠ مثلا ٠٠ أو تقبله ٠ هو أيضا لم يقل شيئا أو يفعل آى شئ ٠ لم ينادها إلى احضانه ٠٠ و يجلسها على حجره كما كان يفعل خالها مع ابنته الصغيرة ٠ يقبلها ٠٠ يداعبها ٠ لم يفعل شيئا من ذلك ٠ طالت لحظات صمته ٠ مرت عليها كأنها سنين ٠٠ ثم أخيرا نطق ٠

– عندك حاجة للآكل ٠

– ما فيش غير لقمة عيش ٠

– روحى ٠٠ لام ابراهيم ٠٠ البيت اللى جنبنا و قولى لها هاتى رغيفين و حتة جبنة ٠٠ لابويا ٠

عندما احضرت له ما طلبه ٠٠ جلس متربعا على الأريكة ٠٠ و أخذ يلتهم ما أمامه في نهم و شراهة ٠٠ دون أن يطلب منها مشاركته ٠ و عيناه تحملقان أمامه ٠ و كلما فتح فمه ليزدرد لقمه ٠٠ بانت أنيابه الطويلة فدخل ا لخوف قلبها أكثر و أكثر ٠ حتى اذا أنتهى مما أمامه طلب منها أن تسقيه ٠ و بعد أن ارتوى ٠٠ تجشأ بصوت عال ٠٠ و ضرب على صدره ٠٠ ثم تمدد على الأريكة من جديد ٠ ظلت واقفة لحظات ترقبه ٠

فلما وجدت منه التجاهل التام ·· جلست على اريكتـــها ··
و عيناها ترقبانه في حركاته و سكناته · حتى اذا دخل الليــل
·· و لم تتمكن الزبالة الموضوعة وسط الدار مـــن مقاومـــة
الظلام تمددت على اريكتها ··تحملق في الظـــلام · مـــاذا
سيفعل معها ؟! و كيف ستكون حياتـــهما معـــا ؟! ركـــزت
عينيها على باب الحجرة ·· حيث يلـــج بعـــض الضـــوء ·
حاولت مرارا اللعب بالنار · حيث يستهويها ذلك · بـــالرغم
من خوفها منها · الا أن امها قبل زواجها كانت تمنعها بـل و
تضربها أحيانا · خشية عليها أن تحرق نفســها · و عندمـــا
كانت تغافل امها ·· و تأخذ أعواد الثقاب لتشعل النـــار فـــي
كوم صغير من القش · كان يهرع اليها من بالبيت مســـرعين
·· فالدار كلها قش ·· و كل ما فيها قابل للحريق و ينالـــها
من ذلك الضرب المبرح · الآن لا آحد يمكنه ضربـــها فـــي
وجود أبيها و خاصة انها تعرف انهم جميعا يخشـــونه ·· و
خاصة انه وش سجون كما كانوا يقولون عنه أمامها · و انـــه
طوال عمره مشاغب و غاوى مشاجرات · عند ذلك هتـــف
بها أبوها أن نامي · فـــأغمضت عينيـــها ·· و أستســـلمت
لسلطان النوم.

عندما حضرت و أبيها من السوق كانت تحمل على رأسها قفصين من الطماطم .. و يحمل على كتفه قفص خضروات. وضعا حمليهما أمام البيت . و اخرجا الميزان. و اعدا المكان لاستقبال الزبائن . ثم علا صوت أبيها .

- حمرة يا طماطم ..

و جلسا .. يلتقطان أنفاسهما في انتظار من تقوده قدماه إليهما مشتريا . بعد لحظات طلب منها أن تشترى شوية أرز و تعده للغداء . و عنما جلست أمام الموقد .. و امسكت بيدها أعواد الثقاب ترددت لحظات .. الا انها تمالكت نفسها و اشعلته . عندها احست بمتعة غريبة و هى تشعل الثقاب ثم و هى تشعل موقد الجاز . يوما بعد يوم .. زادت جرأتها في التعامل مع النيران . الأمر الذى كان يحقق لها احساسا داخليا بالمتعة .. و يولد .. قشعريرة تنتابها لحظات . ثم تعود لطبيعتها بعدها . مع إحساس بالنشوى .

و ذات ليلة .. حملت علبة الثقاب بين طيات ملابسها .. و قد اختمر في نفسها شيئى. غافلت أباها . تسللت إلى الجون خلف الدار بقليل حيث كوم كبير من القش . يختزنه الاهالى

ليستعينوا به طوال العام ٠ كل حسب حاجته ٠ و خلسة ٠٠ أشعلت النيران ٠٠ و لشد ما كانت سعادتها بالغة و هى تشاهد النيران تسرى بسرعة في القش ٠ حتى بدت حريقا هائلا ٠٠ فأبصره الناس ٠ جرت تتوارى ٠٠ حتى دخلت على أبيها البيت فزعة ٠

- مالك ٠٠ بتجرى ليه ؟!

- ما فيش ٠٠ يابا ٠٠٠ أصل فيه حريقة ٠

- تنحرق البلد على من فيها ٠

قال ذلك ٠٠ و خرج ليجلس بجوار بضاعته ٠٠ لا يبالى و تركها تلملم شتات نفسها ٠

--- (٤) ---

أغلقت الباب خلفها ٠٠ جلست على أقرب اريكة ٠٠ أنفاسها تتلاحق ٠٠ صدرها يعلو و يهبط ٠٠ تتسارع دقات قلبها ٠ من شدة النيران و سرعة اشتعالها و انتشارها كادت تنسى نفسها ٠٠ لولا أن تداركت نفسها و اسرعت بالهروب من المكان ٠ حمدت الله أن لم يرها احد ٠ كان كل خوفها من أبيها ٠٠ و لما ابدى عدم الاهتمام ٠٠داخلها الاطمئنان ٠ أنها أول مرة تشعل حريقا كبيرا كهذا ٠ أصوات أهل القرية تعلو بالخارج ٠ بين صريخ النسوة ٠٠ و صياح الرجال في طلب الماء ٠ فقد احتشد اهل القرية جميعا ٠٠ خشية انتشار

الحريق من الجرن إلى أسطح البيـــوت المكدســـة بـــالقش و اقراص روث البهائم القابلة للاشتعال السريع . هدأت نفســـها .. تمددت على الأريكة .. ترهف السمع لما يحـــدث فـــي الخارج . إلى أن شعرت أن الناس امكنهم الســـيطرة علـــى النار .. و بدأت تخمد الحركة . أستجمعت شـــجاعتها .. و خرجت لابيها . لتجده واقفـــا علـــى أول الحـــارة يســـتطلع الاحداث و قد شبك كفيه خلف ظهره .. و أشـــرأب بعنقـــه غير مبال . فوقفت خلفه .. و قد أبدت هى الاخرى عـــدم مبالاة لما يحدث .

--- (٥) ---

أضمرت فى نفسها .. أن تكمن بعـــض الوقـــت .. فقـــد ادركت أن العملية ليست لعبة .. كما كانت تفعـــل و هـــى صغيرة . ثم أن اضرام حريق كبير كهذا كل يوم و الثـــانى ليس بالعمل السهل . و ربما ادى الأمر إلى انكشافها .

و ساعتها لا تعرف ما سوف يحدث لها . و أخذت تمـــارس حياتها العادية و أن كان بداخلها شئ من الاحساس بالاهميـــة .. انها كبرت .. اصبحت تخيف كأبيها .. و تفعل مثله .

و بينما تعد الغذاء لابيها يوما هرولت خارجة علـــى صـــوت شجار معه .. و اصوات سباب .. لتجد رجـــلا و ابنـــه و زوجته و قد انهالوا على أبيها ضربا بأيديهم .. ثـــم امســـك

الابن بعصا خيزران و انهال بها علـــى الرجـــل ٠٠ و لمـــا صرخت ٠٠ نالها جانب من الضرب و كل ما فعلـــه ابوهـــا بعنفوانه و عدوانيته ٠٠ أن جلس على الأرض و قد حمـــى رأسه بذراعيه ٠ و الشيء الملفت أن احدا مـــن الجـــيران او المارة لم يتدخل لفض المعركة الدائرة ٠ و انما تحلقوا حولهم كأنهم يحاولون منع اى احد من التدخل لفضــــها ٠ إلـــى أن احس الرجل و أمرأته بنشوة الانتصار على الرجل المخيـــف ٠٠ طلبا من ابنهم الكف عن الضرب فالضرب فـــي الميـــت حرام ٠ و صرخت المرأة فيه بعد أن تربع علـــى الأرض و اخذ يبكى ٠

- علشان تعرف أنك مـــرّة ٠٠ عامل راجـــل و بتتخـــانق معى و عايز تضربنى ٠٠ علشان تبيـــع لـــى طمـــاطم حامضة يا حامض ٠

ادركت كالعادة أن أبوها هو المخطئ ٠٠ فهي عادته أن يبيـــع لمن يجده مترددا على الشراء من النســـاء بالعافيـــة و قلـــة الادب ٠ الا انه كان صعبا عليها أن تراه في هذه الصـــورة ٠ فأضمرت في نفسها شيئا ٠

وقت الظهيرة ٠٠ و الكل ٠٠ خامد في داره ٠٠لائذ بها مـــن لفح الهجير ٠٠ أما نائما ٠٠ و قد تخلص من كل ثيابـــه مـــا عدا ما يستر عورته ٠ أو مستعينا برش المياه أمـــــام الـــدار عساها تخف شيئا من سخونة الهواء وفجأة ٠٠ علا صـــــراخ النساء و الرجال ٠

- حريق يا هو ٠٠

أنشقت الأرض عن اهل القرية ٠٠ نساءا و اطفالا و رجـــالا ٠٠ فالكل يخشى في ظل هذا الجو المســـاعد علـــى انتشـــار النيران أن تطوله ٠ كانت هذه المرة ٠٠ في ســـــطح بيــت الرجل الذى ضرب اباها ٠

تحلق الناس حول النيران ٠٠ و بدعوا بصـــب الميـــاه التـــي تحضرها النســـوة بـــالجرار و الـــدلاء مـــن حولـــها حتـــى يصعب عليها الانتشار ٠ و لما كانت الميـــاه قليلـــة و الجـــو يساعد على سرعة انتشار النيران طرأت فكـــــرة فـــي رأس أحد الواقفين ٠٠ أن يوقعوا السقف بسحب عـــروق الخشـــب منه فتقع النيران وســـط الـــدار و يمكـــن الســـيطرة عليـــها بعد فصلها عن بقية الدار ٠٠ و بالتالى منع انتشـــــارها ٠ و اشار على بعض الرجال من حوله بما رأى ٠٠والتنفيذ فـــــي

الوقت الذى كان فيه ابن صاحب البيت اسـفل السـقف ٠٠
يفرغ الحجرة من خزين القمح و الارز ٠
فوقع السقف فوقه ٠٠ و النيران مشتعلة به ٠ فتعالى صـواخ النسوة اللائى شاهدن الشاب داخلا٠ و عندمـا أدرك الحشـد الموقف تسارع الرجال و النساء بكل ما تطوله أيديـهم مـن ماء و اشياء يقذفونها على النـار ٠٠ و يتقدمـون لاخـراج الشاب ٠٠٠ حتى ادركوه بين الحياة و الموت و تم اسـتدعاء ٠٠ الإسعاف ٠٠ و عندما تأخر حضورهـا ٠٠ اسـتدعوا عربة كارو و حملوه عليها إلى الوحـدة الصحيـة بالقريـة المجاورة ٠٠٠ و عندما مر الموكب أمام البيـت كـانت أم محمد واقفة مع أبيها لتستطلع الأمر بشيء من الزهو الخفي٠
الا انها عندما وجدت الشاب ممددا على العربـة ٠٠ و قـد احترقت ثيابه و اجزاء من جسمه انتابتها رعشة هزت كـل كيانها ٠ فلم تكن تتصور أن تتطور الامور إلى هذا الحـد ٠
لم يعرف النوم ليلتها إلى عينيها سبيلا و لـم تـهدأ نفسـها الجزعة و ضاع منها كل احساس بالزهو و النشوى فحـرق القش ٠٠ شئ ٠٠ وحرق الانسان شئ آخر ٠
وعند الفجر ٠٠ غفلت عيناها قليلا ٠٠٠ لتصحو فزعة علـى إحساس داخلـي ٠٠ بـأن النـيران تحاصرهـا ٠٠ هبـت فزعة ٠٠ تصرخ ٠

افاقت على صوت أبيها .

- مالك .. مالك يابنت الكلب .

جلست مكانها .. نظرت حولها .. الظـــلام يحاصرهـــا الا زبالة ضوء تصلها من وسط الدار . و أبوها يرمقـــــها فـــي الظلام .. لدرجة أحست بنظراته تخترقها .. تصــــل إلـــى أعماقها .. و تعرف كل ما يدور بداخلها .

عاد الرجل إلى نومه .

قامت تروى ظمأها .. بجرعات ماء .. تبل بها ريقـــها .. و لعلها .. تطفىء بها الرغبة الدفينة بداخلها حتى لا تستيقظ مرة اخرى .

((جثـــة علـــى الطـــريـــق))

****

مقدمة لابـــــد منهـــا :

لا يمكننى ان ازعم ان احداث هذه القصة من بنات أفكاري ٠٠ أو من وحي خيالي ٠ لان أحداثها قد وقعت بالفعل في إحـــدى قرى محافظة الدقهلية منذ عدة سنوات ٠ و من لحظة علمي بها و هي تتفاعل بداخلي حتى قدر لي ان امسك بالقلم .. واسطرها على الوجه التالى :

****

لم تكن تدرى ماذا بها على وجه اليقين ٠ فمنذ اســـتيقظت مـــن نومة القيلولة ٠٠ و هي تشعر بان روحها (مسـبـروقة منهـــا) على حد قولها لابنها الكبيـــر ٠٠ ذي الاثنـــى عشـــر عامـــا ٠ تستشرف حدثا ٠٠ ما قادما ٠٠ بالتأكيد ليس خيرا ٠٠ بلاء مـــا سيقع بها أو بأحد من فلذات أكبادها الولدان و البنت ٠ إلا أنهـــا رغم ذلك ٠٠ أعدت طعام الغداء و التفوا جميعا حوله يتناولونه في صمت غير مألوف ٠ أمام باب الدار المفتوح على وسعه ٠ حيث أعدت للبيع بعضا من أنواع الفاكهة و الخضر في أقفاصها على جانبي الباب ٠ فوق مصطبة أعدت من الطوب اللبن ٠ و بعد أن انتهوا من غدائهم جلســـت بجوار الميـــزان ٠٠ ترقـــب بضاعتها متأهبة لاستقبال أي زبون عارض ٠ و قد طلبت مـــن

ولدها الأكبر الذهاب إلى صلاة العصر في مسجد القرية ٠ بينما أنفلت الولد الأخر ليلعب مع أقرانه ٠٠ و بقيت البنت في الـدار تنظف أواني الطعام بعد أن تلقى بواقيه إلى الطيور ٠٠ و تعيد ترتيب البيت ٠حتى إذا دخل الليل ٠٠ أوقدت المصباح الكبيـر أعلى باب الدار ٠٠ و بينما هي في جلستها و بجوارها ولـدها البكر مرت عليها حميدة ٠٠ زميلتها في الكار و التي يقع منزلها في الجانب الغربي من القرية الصغيرة ٠ لتؤكد عليها ضرورة الاستيقاظ مبكرا ٠ للذهاب إلى سوق الجملة بالمدينة حيـث أن الغد هو يوم السوق الكبير و ستكون الدنيا زحاما ٠ و علـيهن العودة مبكرين حتى يلحقن سيدات البيوت قبـل أعـداد طعـام الغذاء. ذلك حيثما اعتادتا ٠ لم تكن ترتاح لحميدة ٠٠ كثيرا ٠٠ فهي على ما تسمع من نساء القرية سيرتها غير طيبة ٠ كما أنها تشك ٠٠٠ إن لم تكن قد تأكدت من تصرفاتها مع عطية سـائق العربة نصف نقل الوحيدة بالقرية التي يحملن عليها بضـاعتهن عائدتين من المدينة ٠٠ أو ذاهبتان بأقفاصهن الخاوية ٠ حتـى أنها تجاسرت و حدثتها منذ يومين أو يزيد و طلبـت منهـا أن تكف عن هذه التصرفات على الأقل في وجودها ٠ ادعت حميدة ساعتها الغضب منها و لم تحادثها إلا هذه الليلة عنـدما مـرت عليها منذ قليل ٠ و ما أغاظها من حميدة اكثر ٠٠ أن زوجهـا شاب و اكثر حلاوة من عطية السائق ٠

عندما خفت أرجل الزبائن ·· و بدأ الصغار في النـــوم علـــى ركبتها عزمت على إدخال بضاعتها الدار و الاكتفاء بما قســـمه الله لها هذه الليلة · فأيقظت الأولاد ·· و اخذوا جميعا في حمل الأقفاص إلى الداخل · و أطفأت المصـــباح الخـــارجي ·· و أغلقت الباب الكبير · و انامت الأولاد علـــى فراشهـــــم ثـــم توضأت و صلت العشاء ·· و مددت جسدها المكـــدود علـــى الفراش · تلتمس راحة النوم و سكينته بعد أن أغمضت عينيها. إلا أنها بعد لحظات من رقادها زاد إحساســـها بحـــرارة الجـــو ··فجافاها النوم تماما ·· و هرب من بين رموش عينيهـــا ·· أخذت تتقلب على جانبيها و تواترت حياتها على ذهنهـــا كفـــيلم سينمائي · كيف كانت طفلة صغيرة تعيش مع ثلاثة أخوة فـــي كـــــــنف أب وأم متوسطي الحال · يعملان في أرضهم ·· و يزاملون الجيران ·لم تعمل طوال عمرها أجيرة لـــدى أحـــد · حتى إذا شبت و بان جمالها تهافت عليها الخطاب مـــن أبنـــاء القرية ·· إلا أن نصيبها كان مع ابن عمها الذي انتهى من أداء الخدمة العسكرية و أراد والده أن يفرح بهما معا بـــالرغم مـــن بساطة حاله · فقبلت به لأنها كانت تميل إليه · منذ صـــغرها حيث كان دائم الاهتمام بها و كثيرا ما كان يلقى علـــى آذنيهـــا كلاما جميلا من بتاع الأغاني إلا أن القدر لم يمهله ·· أكثر من تسع سنوات معها ·· حيث مات بعد أن أنجبت ابنتها بعام واحد

في حادث سيارة أثناء سفره للمدينة بحثا عن عمـل ٠فباعـت ((فحل جاموس)) كان لديهم و قرطها الذهبي و بـدأت فـي تجارة الخضر و الفاكهة ٠ حيث تذهب لشراء بضـاعتها مـن المدينة كل يومين أو ثلاثة حتى إذا باعت ما لديها ٠٠ ذهبـت لشراء غيره ٠ و أصرت على أن تعلم الأولاد ٠٠ فذهبت بهـم إلى المدارس و الكتاب ٠٠ و أيام الدراسة كانت تـوقظهم فـي الصباح الباكر و تعد لهم الفطور قبل ذهابها إلى السـوق أيـام السوق ٠٠ و الأيام الأخرى قبل أن تخرج بضاعتها أمام الدار. تصحبهم إلى المدرسة و الكتاب حتى إذا كان وقـت عـودتهم جلست تنتظرهم أمام بضاعتها سعيدة ٠٠ مستبشرة ٠ بعـد أن تكون قد أعدت لهم الغذاء ٠لم يكن لهـا غيـرهم ٠٠ و غيـر تجارتها البسيطة ٠ لم تفكر في رجل تحتمي في ظلالـه ٠٠ أو جسد تسعى لإشباع رغباته ٠

****

استيقظت فزعة على طرقات عنيفة علـى بـاب الـدار ٠٠ و صوت حميدة يهتف بها ٠ جلست على فرشتها ٠٠ تفرك عينيها و تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم أ هل نامت ؟! أم كانت يقظة ؟! أم كانت بين اليقظة و النوم ؟! لم تدر على وجـه اليقـين ٠ آتاها صوت حميدة ٠

- أنا رايحة أجيب عطية و جاية ٠ أوعى تنامي تاني ٠

- لا ٠٠ خلاص أنا صحيت ٠

نهضت ٠ اغتسلت ٠٠ و توضأت ٠ و صلت الصبح ٠٠ حتى إذا فرغت سمعت صوت السيارة تقف أمـــام البـــاب فجمعـــت أقفاصها الفارغة من البضاعة و أحضرت كيس النقود و ربطته في حمالة صدرها ٠ و خرجت إليهما تاركة أولادها نياماً ٠

وجدت حميدة راكبة بجانب السائق في الكابينة ٠٠ وقفت لحظة تفكر ٠ أ تركب بجوارها ٠٠ أم فوق سطح العربة إلا أن حميدة لم تمهلها حيث فتحت لها باب السيارة هاتفة بها أن أركبي ٠ و التصقت بالسائق اكثر موسعة المكان لها فركبت بعد أن ألقـــت عليهم تحية الصباح ٠٠ و تحركت السيارة ٠

****

نسمات لطيفة ٠٠ بعد إطلالة فجر اليـــوم الجديـــد ٠٠ شـــبورة متوسطة الكثافة ٠٠ بالكاد يرون من بين ذراتها معالم الطريـــق ٠ حتى اقتربا من حقل ذره ٠٠ متوسطة عيدانـــه ٠٠ بعـــد أن خرجوا من القرية بمسافة معقولة و كادوا يقتربوا من الطريـــق المرصوف ٠ توقفت السيارة فجأة ٠ بعد نظرة من حميدة لعطية السائق لمحتها بجانب عينيها ٠ توقف الدم في عروقهـــا ٠٠ لا تدرى لماذا ؟؟ فكم من مرة توقف عطية بالسيارة من قبل و لم تشعر بأي شئ من ذلك ٠تذكرت ما كان مسيطرا عليهـــا مـــن إحساس مجهول طوال أمس ٠ صرخت مذعورة ٠

- فيه إيه يا عطية •

نظر إلى حميدة قبل أن يجيبها •

- و لا حاجة •• مزنوق •• هافك زنقة •• فيها حاجة دى. مالك يا وليه على الصبح • سحب مفتاح السيارة و فتح الباب المجاور له •• و هبط من السيارة متجها إلى حقل الذرة مغلقا الباب خلفه • بعد لحظات •• دفعتها حميدة قائلة. أوعى يا ختى انت كمان •• أقوم افك زنقة •

- و ضحكت بدلال •• اشمعنى هوه •

تسمرت مكانها لحظات •• لا تدرى ماذا تفعل ؟! إلا أنها دفعتها ثانية قائلة بميوعة •

- ما تفتحي الباب يا وليه •• نزلينى مالك متسمرة كده •• عجايب • و مدت يدها فتحت الباب و دفعتها من جانبها فتحركت هابطة ببطيء حتى إذا وقفت اسفل السيارة و هبطت منها حميدة •• قالت لها •

- خليكى واقفة •• أنا جاية تأنى •

و دخلت حقل الذرة خلف عطية الذي كان بانتظارها •• و رأته من بين الضباب و عيدان الذرة عاريا متجردا من ثيابه • حتى إذا وصلته احتضنها و اخذ ينزع عنها ثيابها قطعة •• قطعة •• و ضحكاتهما الخليعة تصل إليها في وضوح • حتى إذا

أصبحت المرأة عارية مثله أخذا يمارسان الجنس أمامها و هـــي تصرخ بها .

– تعالى يا اختى شوفى .. اتفرجى .. بقالك كم سنة محرومة . و لا أقول لك .. جهزي نفسك الدور عليك بعد ما يخلـــص معايا .

- الدور علي .. يا خرابى .. أخذت تلطم خديها .. و قـــد تجمدت مكانها .. لا تدرى ماذا تفعل ..

- يارب سترك سترك يا رب .. يا منجى من المهالك . هل شلت ساقاي ؟! .. حركتهما معا في ارتبـــاك . لا انهمـــا يتحركان ..

لماذا لا أجرى ؟! أخذت تعدو على الطريق المتجه ناحية المدينة . و هي تولول .. و تصرخ .

- الحقونى .. الحقونى يا ناس ياهو .

انتبه العاريان إلى أنها تجرى .. جريا خلفهـــا .. حتـــى إذا أدركها الرجل أوقعها أرضا .. و نام فوقها و عندما أدركتـــه المرأة .. صرخت به .

- عريانة يامنيل .. زى ما هي شـــافتنى عريانـــة عـــايزة اشوفها . وأخذت تنزع عنها ثيابها . وهي تقاوم بعنف .

فأخذت تمزقها ٠٠٠ قطعا صغيرة و تلقى بهـا خلفهـا علـى الطريق ٠ حتى إذا تمكنا منها ٠٠ و جرداها من ثيابها تماما ٠ قالت له حميدة ٠

- تعال ٠٠ و أنا امسك لك رأسها و يديها ٠

إلا أن المرأة أخذت تصرخ و هي تقاوم ٠٠ تارة بركـل مـن تطوله بساقيها ٠٠ أو ضرب بيدها و انشبت أظافرها في وجـه حميدة حتى أدمته ٠ و كلما ازدادت مقاومتهـا شراسـة ازداد المعتديان قوة و رغبة في إتمام ما يفعلونه ٠ إلا أن الرجل كلما اقترب من بين ساقيها ضمت المرأة ركبتيها و التوت على أحـد جانبيها فلم يتمكن منها ٠ فيعيدها على ظهرها مـرة أخـري و يلف بثقل جسمه كله على صدرها ٠٠ و يمسك رقبتها بيديه ٠٠ و يأخذ في الضغط على عنقها لعـل مقاومتهـا تقـل ٠ إلا أن صراخها يتعالى ٠٠ و مقاومتها تزداد قوة كلما فشل في النيـل منها ٠

صرخت به حميدة ٠

- اخلص يا واد يا عطية النهار ها يطلع و الناس ها يسـمعوا صراخها ٠

تزداد شراسة عطية ٠٠ يضغط على عنقها اكثـر ٠ فـأكثر و تأخذ مقاومة المرأة في الضعف اكثر ٠ حتى خـارت تمامـا و سكنت حركتها ٠

- حميدة ٠٠ المرة باين عليها ماتت ٠
- ماتت إيه يا واد ٠٠ تلاقيها بتعمل كده علشان نسـيبها ٠

أوعى كده ٠ و أخذت تحرك أعضاءها فتتحرك معها ٠

صحيح يا واد ٠٠ دى ماتت ٠ فكرت لحظة ٠٠ ثم قالت له ٠

- ماتت ٠٠ ماتت ٠٠ أنا عايزاك تعمل معاها برضة ٠
- ليه يعنى ٠ ده حتى حرام ٠

ضحكت في هستريا ٠٠

- قال حرام ٠٠ قال ٠ و اشارت إلى الجثـة الممـددة علـى الطريق و صرخت به ٠
- امال ده يبقى إيه ٠ قوم نخفى الجثة في أي حتـة و خلينـا نمشى من هنا قبل ما حد يطب علينا ٠ ٠ و حملا الجثـة و القيا بها في حقل الذرة ثم ارتديا ثيابهما و اكملا طريقهمـا إلى المدينة صامتين ٠

((نهايـــة رحلـــة الأحـــــلام))

****

لا أعرف على وجه الدقة ٠٠ كيف بدأ ذلك ؟! كيف نما داخلي هذا الاحساس ٠٠ كبر ٠ حتى أصبح كيانا كبيــرا لا أســتطيع هدمه أو التمرد عليه ٠ أن يتحول الحلم الذي كان يراودني من صغرى ٠٠ الرغبة الملحة التي كانت تدفعني دفعا لاكون شــيئا ما ٠٠ وولدت داخلي الحرص على التعليم ٠٠٠ الــداب علـــى الدراسة ٠٠٠ المشى على الأقدام عدة كيلو مترات صباحا ذاهبا إلى المدرسة طفلا صغير ٠٠ و مثلها عائدا إلى المنزل ٠ ثــم بعد أن ألقى عن كاهلي الصـغير حقيبة الكتب المدرسية ٠٠ أخذ في استذكار دروسي و أداء واجباتي المدرسية ٠ أثناء تنــاولي لقيمات اسد بها غائلة جوعي ٠٠ و ذلك حتى لا يــدخل علـــى الليل قبل أن أتمكن من أداء واجباتي المدرسية و النوم مبكـــرا حتى يمكنني الاستيقاظ باكرا ٠٠ و هكذا ٠ استمر دائـــرا فـــي الحلقة حتى ينتهي عام دراسي ٠ لادخل في حلقة عام دراســـي جديد ٠٠ بعد إجازة اقضيها عاملا فى الحقل مع أبى و أخـــوتي الأربعة و أمي ٠ حيث كل ما نمتلكه قطعتي ارض كـــل منهـــا ثلثي فدان نالهـــا والدي من الإصلاح الزراعي،حتى حصـــلت على الشهادة الإعدادية ٠٠ ثم الثانوية بمجمـــو ع يمكننـــي مـــن

الالتحاق بكلية الهندسة الا انه لإدراكي بعدم إمكان الصرف على الدراسة بهذه الكلية فضلت الالتحاق بكلية التجارة ٠ متخليا عن حلم الطفولة قانعا بأن ألعب دور الأخ الأكبر لأخوتي ٠٠ و أن أكون معينا لأبى فى تربية أخوتي ٠٠ و حاملا معه الحمل ٠

سافرت في أول إجازة لنهاية العام الدراسي الأول لي بالكلية للعمل في الأردن بعد أن اقترض والدي أجرة السفر برا ٠٠ لم أفكر في عمل معين فما هو العمل الذي يمكن أن يتخصص فيه من هم في مثل سني و ظروفي ؟! عملت في كل شئ ٠٠ حمالا ٠٠ عتالا ٠٠ عامل بناء ٠٠ نمت في المساجد و تحت الكباري و في الحدائق العامة لادخر أجرة المبيت ٠٠ إلى أن رمت بي الظروف ٠٠ أو قل بركة دعاء الوالدين في طريق صاحب محل تجارى كنت اقف أمامه ٠٠ و احمل البضاعة التي يشتريها العملاء من المحل إلى سياراتهم ٠٠ فطلب منى تحميل سيارة بضاعة له و أن احضر معي بعض الزملاء ٠٠ فأقنعته بأنني قادر على أداء العمل وحدي ٠٠ على أن يساعدني واحد من عمال المحل ٠٠ و كان ذلك ٠ و كم كانت سعادتي عظيمة حينما وجدته سخيا معي ٠٠ فدعوت له أن يكرمه الله كما أكرمني ٠ و إذا به يأخذني إلى مكتبه و يتجاذب معي أطراف الحديث ٠٠ فحدثته عن ظروفي و حلمي في أن أكون مهندسا الا أن الظروف لم تسمح بذلك ٠٠ و سفري لتوفير ما يمكنني

من الاستمرار في الدراسة و مساعدة الأهـل ٠ و كـم كانـت دهشتي عندما طلب منى أن احضر من الغد باكرا ٠٠ لاعمـل معه في المحل بائعا ٠٠ لسفر أحد البائعين إلى بلـده ٠٠ كمـا وفر لي مكانا للمبيت في منزله بغرفة بجوار غرفة بواب السكن الخاص به ٠٠ فكنت له كظله ٠٠ خادمه المطيع ٠٠ الذي يجده عندما يفكر في طلبه ٠ و كان كريما معي ٠٠ فمضت الإجازة و بقيت بعدها عدة اشهر علـى أسـاس أن الكليـة نظريـة و الحضور اليومي أو الغياب لا يشـكل أدنـى مشـكلة ٠ إلا أن المردود المالي ٠٠ كان اكبر من أي رغبة لي في النزول إلى بلدي و اللحاق بامتحان العام الدراسي الثاني لي بالكلية ٠ فضاع العام الدراسي مقابل زيادة المردود المالي ٠ و عند بداية زيادة العام الدراسي التالي ٠٠ حصلت على إجازة لمـدة شـهر ٠٠ وعدت محملا بالهدايا للأهل ٠٠ و عامر الجيب بالدولارات ٠٠ التي رآها والدي ثروة ٠٠ استحق عليها منه أن يقول انـه قـد انجب بحق ٠٠ و وجدته يفاتحني ذات يوم بأنه يرغب هـو و أمي في هدم البيت و بنائه مـن جديـد بـالطوب الأحمـر و الأسمنت. و اهو ٠٠ نقب على وش الدنيا يابنى ٠ و خاصة ان معظم بيوت القرية الآن أصبحت هكذا بعد سفر الكثيرين مـن أبنائها إلى الخارج ٠

وجدت في كلام أبى تعبيرا عن رغبة ملحة ٠٠ تـراوده ٠٠ و خاصة عندما ٠٠ لمست ميل أمي إليه ٠٠ و بريق الأمل الذي لمع في عيون أخوتي عندها ٠ كما انه مس وترا حساسا وجـد صدى طيبا في نفسي ٠ و استمر أبى في الكلام ٠

- سنة و لا اتنين ٠٠ و نفرح بيك و نجـوزك ٠٠ و بكـرة اخواتك يكبروا ٠٠ و ها يعوزوا يتجوزوا ٠٠ و البيت زى ما انت عارف يا دوب تلات مطارح ٠ إنما لو هدينا و بنينا نطلع كام دور و يكون لكل واحد مـنكم دور لوحـده ٠ و ندخل الميه و الكهربا ٠ و نعيش يا بنى زي النـاس اللـي باقي من عمرنا ٠ و البركة فيك انت و اخواتك و كلها سنة و اخوك ابراهيم يكون كبر تاخده معاك و يبقى يد تسـاعد معاك على حملنا ٠ استسلمت ساعتها لرغبة أبى ٠٠ لانها فى الحقيقة كانت تمثل رغبتي التي لم اكن قد تمكنـت مـن تحديد هويتها ٠ و عبر عنها أبى خير تعبير ٠ ذهبت إلـى الكلية ٠٠ لمعرفة المقررات الدراسية ٠٠ و اشتريت بعض الكتب التى صدرت للاطلاع عليها فى الغربة حتى يمكنني الحضور على الامتحانات او قبلها بأيام قليلـة ٠ و أثنـاء تواجدي بالكلية لم المس فى نفسى الشوق اليها ٠٠٠ النشوه التى انتابتنى اول مرة التحق بها ٠ شعور غريب تملكنـي ٠٠ تعال ٠٠ ربما ٠ قلة اهتمام بالدراسـة ٠٠ احتمـال ٠

لكننى لم ادرك ساعتها ٠٠ ان تلك الزيارة كانـــت الطوبـــة الاولى فى الجدار الذى بدأ يكبر داخلـــي ٠ الكيـــان الـــذى تضخم ٠٠ ليرزخ فوق احلامى ٠٠ مخاولا وئدها ٠

****

عندما عدت من اجازتى الاولى ٠٠٠ وجدت ترحابا شديدا مـــن صاحب العمل بى ٠ و مارست عملى كالسابق بكل همة و نشاط ٠٠ و رغبة اكثر فى الاستذادة من المدخرات التى بـــدأت كـــل مشاعرى و مداركى تتجه و تتركز عليها ٠ و لم اجـــد الوقـــت الكافى طبعا للمذاكرة ٠٠ و ان وجدت الوقـــت ٠٠ فضـــلت ان ارتاح فيه من عناء العمل بدلا من زيادة التعب بالاستذكار فيـــه ٠٠ و هكذا حتى اذا اقترب موعد الامتحانات حصـــلت علـــى اجازة لمدة الامتحانات فقط .

و اكتفيت بالمذاكرة فى ايام الامتحانات ٠٠ و بالطبع لم اتمكـــن من النجاح الا فى بعض المواد و رسبت فى البعض الاخر ٠
كانت المرة الاولى فى حياتى التى ارسب فيها فى الدراسة ٠ الا اننى لم اجد بداخلى اى اسف ٠٠ او احساس بالفشل ٠٠ او الندم ٠ اهكذا كنت من قبل ؟! بالتأكيد لا ٠٠ فقد كانت مجرد فكـــرة الرسوب لا تخطر لى على بال .

وان خطرت كنت اموت منها رعبا ٠ فالعام الذى كان سينقضى لم اكن بقادر على تعويضه ٠ اما الان فالحال مختلف تماما ٠ و الامر الذى زاد هذه المرة ٠٠ و ادى الى زيادة احساس اللامبالاه هذا ٠ هو ما اسرت به امى لى قبل السفر ٠

- عايزين نفرح بيك يا بنى ٠٠ انت الله اكبر ٠٠ بقيت عريس كل بنت تتمناه ٠٠ و اللى فى سنك عندهم عيال دلوقتى ٠
- الاجازة الجاية ان شاء الله نكون كملنا البيت و نخطب لك و نكتب على طول و تدخل قبل ما تسافر ان شاء الله ٠ عايزة افرح باولادك يا بنى قبل ما اموت، ٠

هب من رقاده داخلى ما كان نائما ٠٠ خامدا كالبركان ساعة هدوءه ٠ فقلة ذات اليد ٠٠ كبتت كل مشاعر الحب داخلي ٠٠ فأجلتها ٠ و اخذت تنفض عن كاهلها غبار النسيان ٠ و اخذت ملامح وجه سعدية ابنة الجيران تداعب خيالى من جديد ٠٠ حقا انها تصغرنى بعدة سنوات الا انها هذه الاجازة بدت فى عينى عروسة تنتظر من يستحقها و انا لها ٠ فابديت رغبتى هذه لامى و طلبت منها ان تفاتح اهلها على مهلها و ان وجدت قبولا ٠٠ لا مانع من قراءة الفاتحة على ان يخبرونى بذلك حتى احضر لها شبكتها و لوازم عرسها معى عند قدومى الاجازة القادمة ٠

****

عندما سافرت هذه المرة ... لم يكن ما بداخلى كأى مرة سابقة . فقد كبر احساسى بذاتى . و تغيرت نظرتى لنفســـى بتغيـــر نظرة اهلى لى . اصبحت كبيرا فى نظر نفسى .. لا يجب ان التفت الى الصغائر . كما ان مشاعر الحب التى بـــدأت تنمـــو بداخلى .. اضفت على الدنيا مذاقا خاصا فى نظـــرى .. لـــم اكن اشعر به من قبل . و ركزت كما فى الايام السابقة علـــى الاخلاص فى العمل .. حتى اخذ كل وقتى .. صباح مساء . و بعدما وصلتنى الاخبار من اهلى بقراءة الفاتحة على ســـعدية .. بدأت فى شراء الهدايا التى اراها مناسبة لها و لاهلها .

الا ان المشكلة التى كانت تؤرقنى .. كما ارق لهـــا صـــاحب العمل هى كساد الحركة التجارية تلك الايام .. فحركة البيع و الشراء قلت بشكل كبير و بالتالى اخذ صاحب العمل يستغنى عن بعض العمال الذى لا يرى لوجودهم الاهمية الكبرى فى العمل.

و بدأ القلق يساورنى من قلة المردود . الى ان فوجئت بصاحب العمل يطلبنى لمكتبه يوما و يخبرنى بأنه مضطر و هو شـــديد الاسف ان يخفض راتبى قائلا .

– انت تعرف ان الحركة نامت و المكاسب قلت . و لانـــى لا أستطيع ان استغنى عنك و فى نفس الوقت لا استطيع

ان اعطيك اكثر مما يمكننى فأرجو ان تتقبل الوضع عسى اللـــه ان يفرجها قريبا ٠

فأبديت له استعدادى لتقبل الوضع ٠٠ و افهمته اننى لا يمكننى ان انسى ما فعله فى البداية من اجلى ٠ و اننى لن اتركه الا اذا تركنى هو ٠٠ بل حتى لو طلب منى ذلك فلن اتركه ٠ فشكرنى الرجل ممتنا من مشاعرى تجاهه ٠ و استمرت الحياة على هذه الحال ٠و اضطربت الأجواء السياسية فى المنطقة ٠٠ فى تلك الايام التى سبقت العدوان الامريكى على العراق ٠ ثـــم بـــدأت الحرب و صاحب ذلك زيادة فى ركود الحركة التجارية ٠ الأمر الذى وجد صاحب العمل نفسه غير قادر على الوفاء بالالتزامات التى عليه للبنوك ٠٠ و سداد مستحقات الـدائنين او تحصـــيل مستحقاته على الدائنين ٠٠ فاضطر الى التوقف عن العمـــل و اغلاق المحال ٠ الامر الذى وجدت نفسى مجبرا على القبـــول بالامر الواقع ٠ و السفر عائدا الى بلدى و قد تنازلت راضـــيا للرجل عن بعض مستحقاتى الماليه طرفه على وعـــد منـــه ان انصلح الحال فى الايام القادمة و عاد الى النشاط ٠ فأنه لن يجد افضل منى و سوف يرسل لى على بلدى التذكرة ٠٠ للحضور اليه و متابعة العمل معه ٠

وعدت محملا باليسير من الهدايا ٠٠ و القليل من المال الذى لم يكن كافيا لاكمال تشطيب المنزل ٠٠ و تقديم الشبكة للعروســة

معا ٠ و ظلت المشاورات دائرة بين الوالد و الوالـــدة و بينـــي مابين اكمال البيت و كان هذا رأيى انا و تقديم الشبكة و كـــان رأى الوالدين ٠ مبررين ذلك بأننى ضحيت من اجلهم بـــالكثير ٠٠ ثم انه يمكن الاقامة فى البيت بأى شكل ٠٠ و فى الاول و الاخر بيتنا و ملكنا ٠ الى ان انتصر الحل الوسط و هو تشطيب شقتين فقط احداهما لى و عروستى و الثانية لبقيـــة العائلـــة ٠ وبناء على ذلك تم تقديم الشبكة و اعلان الخطبـــة فـــى حفـــل متواضع ٠ على امل ان تتحسن الامور بعد توقـــف الحـــرب و يمكننى السفر مرة ثانية و عندها يمكن تقديم المهر و تجهيز شقة العروس و استكمال البيت ٠ و طالت بى فترة الانتظار ٠٠ وان اتاحت لى فرصة استكمال العام الدراسى ٠٠ فدخلت الامتحانات ونجحت فى مواد التخلف و انتقلت الى العام الدراسى التـــالى ٠ وبدأت انهمك فى حياة الشباب امثالى ٠٠ و كم كانت دهشـــتى شديدة عندما لاحظت كثرة الخريجين الجامعيين فى القرية بـــلا عمل ٠٠ و منهم من مضى عليه اكثر من خمس ســـنوات ٠٠ منتظرا للعمل بالداخل او فرصة للسفر للخارج الـــذى انعـــدمت فرص السفر اليه ٠

الى ان حرك حماس الشباب و الهب رغبتهم فى السفر من جديد ٠٠ قدوم واحد من شباب القرية فى اجازة عائدا من عمله فـــى ايطاليا ٠ و اخذت السهرات الليلية معه و كثرت احاديثه عـــن

المكاسب التى يحققها فى ايطاليا و المدخرات التى من الممكن ان يجمعها خلال العام الواحد حيث تفوق من وجهة نظره ما يمكن للفرد جمعه فى خمسة او ستة اعوام فى احسن دولة عربية ٠ هذا بخلاف المعاملة الحسنة و التى لا يجدها فى الدول العربية ٠

و بدأ التفكير فى السفر الى ايطاليا يجذب اهتمام الشباب و بدأ السعى لتحقيق ذلك ٠٠ الى ان اصطدم الجميع بتأكيد كل شركات السياحة ان التأشيرات الى ايطاليا ممنوعة و ان الوسيلة الوحيدة للسفر هو التهريب ٠

شخصيا ٠٠ ذهلت ٠٠ التهريب ٠ تهريب بنى ادم !؟ كنا نسمع من قبل عن تهريب العملة ٠٠ او تهريب المخدرات لكن لم نسمع ابدا من قبل عن تهريب الانسان ٠ و الانكى ان وسيلة التهريب هى السفينة ٠٠ يركب الواحد منا السفينة التى تقبل هذا العمل ٠ و بالقرب من السواحل الايطالية ٠٠ او على مقربة من اى جزيرة ايطالية تلقى السفينة بما تحمله من عمال فى الماء ٠٠ و يقومون بالسباحة حتى اقرب شاطىء و صاحب الحظ هو من يصل دون ان يتمكن خفر السواحل من القبض عليه و ترحيله الى بلده من جديد ٠ و بعد مدة تفنن المسافرون فى التخلص من جوزات سفرهم بتركها و السفر بدون اى هوية حتى اذا وقع الواحد منهم فى يد السلطات ادعى انه فلسطينى او

عراقى هارب او صومالى لاجىء او ما شابه ذلك ٠ حتـــى لا ترحله السلطات و تمنحه حق اللجوء السياسى ٠ او على الاقل تتركه دون ترحيل ٠

اترك ٠٠ جواز سفرى ٠٠ اتخلى عن جنســيتى ٠٠ و اســافر بدون هوية ٠٠ و عندما يتم القبض علـــى ٠٠ انتصــل مــن مصريتى كل ذلك من اجل المال ٠ هذا اذا وصلت سالما ٠ اما اذا تعرضت للغرق كما نشرت الصحف عن بعض الحوادث او كانت المركب صغيرة و الحمولة اكثر من طاقتهـــا و غرقـــت بركابها كما نشر ايضا ٠ او اطلق خفر السواحل النـــار علـــى السابحين او المتهربين فتلك امور لم تكن تشغل البال كثيـــر ٠٠ فهنا الحياة كالموت لا فرق .

و هناك مغامرة ٠٠ ان نجحت كانت الحيـــاة الحقـــة ٠٠ و ان فشلت ٠٠ فالموت واحد ٠ و العمر واحد و الرب واحد .

هو فيه حد هايهرب من قضاه ٠ و من شدة الاقبال على ذلك و صعوبة وسائل التهريب و شدة المخاطرة ارتفعت الاسعار حتى بلغت مبالغ فلكية تجاوزت ما كان يمكننى ان ادخره فى عامين فى البلد العربى الذى كنت اعمل فيه ٠

****

بدأت اشعر بميول قوية نحو المغامرة ٠ فالحال لم يعد يســـر لا عدوا و لا حبيبا ٠ البيت كالخرابة بعد التوقف عن التشـــطيب و

اكمال مشروع الزواج فى حاجة الى الكثير مـــن الامـــوال • و فكرة العمل فى الزراعة طارت من رأسى تماما •• فلـــم اعـــد اصلح لهذا العمل و لا العمل نفسه عاد مناسبا لى •• و انا كبير اخواتى و مصدر الدخل الذى تعودوا عليـــه • كمـــا ان اهـــل العروسة بدأت مقابلتهم لى تختلف عن البداية •• و العـــروس نفسها بدأت تظهر امنيات و طموحات مادية لم يعد باستطاعتي توفيرها لها • و كل كام يوم تسألنى الم تصـــلك اخبـــار مـــن صاحب العمل • فأن اجبتها بالنفى صمتت •• ثم بعد لحظات تطلب منى التفكير فى طريقة اخرى للسفر •• كما يفعل شباب القرية • تقصد السفر الى ايطاليا •

اصبحت الحلم•• و الامل • و ربما النهاية لكل حلم و امـــل • لكن لم يعد هناك مفر من ان يجرب كل واحد منا حظه • امـــا البداية لكل خير •• او النهاية لكل شىء •

و عندما استقر رأيى على السفر •• بدأت افكر فى كيفية توفير المبلغ اللازم للسفر • من اين لى بهذا المبلغ !؟

و عندما افضيت بما يدور فى ذهنى لامى و ابى ذات ليلـــة •• كم كانت دهشتى من تجاوبهم فى التفكير معى •

كما لو كانوا ينتظرون منى ذلك من زمن • عرضت أمـــي ان تبيع ذهبها •• وعرض ابى بيع الجاموسة او حتى حتـــة ارض ••• و ان شاء الله اما ترجع بالسلامة تعوضنا عن ذلك •

و عندما عرضت الامر على اهـل خطيبتـي وجـدت نفـس الاحاسيس و المشاعر ٠ بل الادهى من ذلك انها نادت علـى و اخذتنى فى جانب و اخذت تنزع شبكتها و هى تقـول بشـهامة تحسد عليها ٠

- خذها ٠٠ بيعها ٠٠ و كمل عليها ٠٠ و ان شاء اللـه عندما تعود ها تجيب لى احسن منها ٠

فما كان من ابى الجالس هو و امى ٠٠ ان هتف بها قائلا ٠

- اصيلة ٠٠ يا بنتى و بنت ناس اصلة ٠و اللـه لن يحدث ذلك ابدا حتى لو بعت له حتيتين الارض ٠ و من بكرة ها دور على اللى يشترى ٠

و اكتملت السهرة ليلتها ٠٠ بأحلام ورديـة ٠٠ تحققـت كلهـا بسفرى الى ايطاليا ٠ و ضحكنا ليلتها ٠٠ و سـعدنا كمـا لـم يحدث من قبل ٠ و اصبح أبى ساعيا فى بيع الارض و طبعا لم يجد من يشترى الا العائد حديثا من ايطاليا و ضحك ابى و هو يعطينى النقود قائلا ٠

- خذ يابنى ٠٠ الفلوس جاية من ايطاليا و رايحة لها تانى ٠

و بعد ان دلنى اصحاب الخير على من يثقون به من السماسرة التى تعمل للمهربين ٠جلست معه انا ووالـد احـد الـزملاء المسافرين معى و الذى سبقنى فى الاتفاق معه حتى نسافر سويا و حرصت على التعرف على طريقة السفر فأكد لى الرجل انه

يجب ان اكون تحت الطلب فهم فى انتظار سفينة قادمـــة مـــن جنوب شرق اسيا عليها بعض الاسيويين سينزلون بالسعودية و دول الخليج و بعد مرورها من القناة الى البحر الابيض ســـوف يتصلون بهم و نذهب عن طريق مركب صغير اليها فى عرض البحر و نظل بها مختبئين حتى نصل الى اقـــرب الشـــواطىء الايطالية ٠٠ ساعتها نتسرب الى الماء سابحين الى الشـــواطىء الايطالية ٠ و اشترط الرجل علينا الا يعلم احد بهذه التفاصـــيل حتى لا تقبض عليهم الحكومة المصرية ٠ و ان نكون على اهبة الاستعداد فى اى لحظة للسفر عند النداء ٠ خرجنا من عنده بعد ان اعطيناه النقود بدون حتى ايصال امانـــة و علـــى وعـــد الا نتصل به مرة ثانية و انه هو الذى سيتصل بنا ليلة السفر٠ و انا اشعر بشىء من الخوف ٠ و اسررت بذلك لامى و ابى ٠٠ الا ان امى قالت لى ٠٠

– خلى اتكالك على اللـــــه ٠

و اخذت ايام الانتظار تمضى بنا ثقيلة ٠٠ و كئيبة ٠

****

و فى ليلة ٠٠ كنت ساهرا عند اهل خطيبتى ٠٠ و قد انتصف الليل و الحديث متشعب و يسوده المرح و جو من السعادة حتى

اذا قررت الانصراف ٠٠ اخذت تسير معــى خطــوات قليلــة نقترب بها من بيتى ٠

اذا بسيارة ٠٠ تقف ٠٠ امام منزلنا و ينــزل منهــا شخصـــان احدهما من قريتنا و يشير على بيتنا ٠ و الاخر لم اره من قبل.

اخذ يطرق على بابنا ٠

– ايوه يا استاذ ٠

– منزل احمد عبد البديع ٠

– نعم ٠ هو ٠٠ عايز ايه حضرتك ٠

– عايزين احمد ٠

– انتم مين ٠

اقترب منى ٠٠ و همس فى اذنى و هو يبتسم ٠

– انت اخوه ٠

– لا انا احمد ٠

– طب يا اخى قول كده من الصبح ٠٠ يا الله يا جميل تعالى معانا ٠

– على فين انشاء اللــه ٠

– علشان تسافر ايطاليا ٠

عندما نطق بها ٠٠ و سمعتها خطيبتى ٠ بهتنا لحظة ثم افقــت على خطيبتى و هى تضع كف يدها على فمها لتزغرد ٠ فخرج صوتها غير معبر عن شيء ٠ و زعقت بها ٠

- جرى ايه ٠

فوافق الضيف على قولى ٠

- و النبى بلاش هيصة ٠٠ علشان ما حدش يحس بحاجة ٠ امال احنا جايين بالليل ليه ٠شغلنا كله المفروض ما حدش يعرف عنه حاجة ٠

الا ان ذلك لم يمنع من خروج اهلى من البيت و حضور اهــل خطيبتى و استيقاظ بعض الجيران و تسبب ذلــك فــى حشــد جماهيرى بسيط ٠ فأخذنى الرجل على جانب وقال لى ٠

- فى عرضك خلصنى من الهيصة دى الحكومة لو خدت بها خبر مش ها نعرف نسفركم ٠ بأسرع ما يمكــن حضــر شنطتك ٠٠ و اللاقولك هات غيار واحد بس و اى فلــوس معاك و يا للا خلينا نخلص و نلحق المركب قبل ما تعدى.

شعور غريب تملكنى ٠٠ انعدم احساسى تماما بما يجرى حولى ٠٠ توقف ادراكى بما حولى ٠ اخذت اتحرك كالمذبوح ٠ انفذ ما يأمرنى به الرجل و انا صامت ٠٠ لا اناقش ٠ اسرعت الى البيت ٠٠ و قد التف حولى كل من فى البيت و لم اعرف مــن هم على وجه التحديد ٠ و لم ادرك مــا يقولــون ٠٠ و لا مــا

يفعلون ٠ و فى لحظات .. وجدت فى يــدى ٠٠ ((تــرنج))
وحقيبة يد صغيرة ٠٠ و غيارا من الملابس الداخلية ٠٠ بتلقائية
وضعت هذه الاشياء كلها فى الحقيبــة ٠٠ وعلقتهــا بكتفــى ٠
وعندما اخذت فى المسير خارجا من حجرتى ٠ وجدت ايــدى
تمتد لى بنقود اخذتها ووضعتها فى جيبى ٠٠ بتلقائية ايضا ٠٠
و تكاثر الجميع حولى و انا لا ادرى من هم ٠٠ او ماذا يقولون
٠٠ ايد تمتد لى اصافحها ٠٠ و اشخاص تحتضنى ٠٠ و تقبلنى
٠ و اخذت لحظات اتقلب بين الاحضان ٠٠ و تمطــر وجهــى
قبلات لا اشعر بها الا مجرد لمسات على خدودى ٠ ثم امتــدت
يد سحبتنى من بين هؤلاء جميعا ٠٠ حتــى وجــدتنى اجلــس
بالسيارة و بجانبى الرجل ٠٠ و اخذت السيارة تتحرك فى بطء
فى البداية حتى اذا خرج من بين حشد الناس اندفع مسرعا ٠٠
وانا انظر الى الخلف مشدودا الى شىء لا اعرفــه ٠ حتــى اذا
خرجنا الى الطريق اعتدلت فى جلستى ٠٠ و ظللت صامتا ٠٠
احاول ان استرد انفاسى الضائعة ٠٠ نفسى الهاربة منــى ٠٠
عقلى ٠٠ الذى غاب عن ادراك ما حدث ٠

****

عندما طال بنا السير ٠٠ و عاد الى الــوعى ٠٠ و اســتردت
انفاسى ٠٠ نظرت حولى ٠

لا ارى الا ظلام ٠٠ و اراضـــى زراعيـــة ٠٠٠ و رمـــال ٠
وبعض اشجار النخيل ٠

- هو احنا رايحين على فين يا استاذ ٠
- لا تقلق ٠٠ رايحين على مكان ٠٠ نأخذ منه مركـــب صـــيد صغيرة ٠٠ تنقلكم الى عرض البحر حتى تقـــابلوا الســـفينة الكبيرة التى ستحملكم الى ايطاليا ان شاء الله ٠
- امال فين بقية الناس ٠
- سوف تجدهم متجمعين فى انتظارنا عندما نصل ٠ لا تقلق ٠ كل شىء مرتب و محسوب كويس جدا ٠

سفينة صغيرة ٠٠ عرض البحر ٠٠٠ سفينة كبيرة ٠٠ ايطاليا.
مفردات كانت بعيدة عن وجدانى كواقع اتعايش معه ٠٠ بالرغم من كثرة الحديث عنها ٠ لانها مرتبطة ارتباطـــا وثيقـــا بحلـــم السفر.

اخذت اعيد فى نفسى ترديد هذه المفردات مرات و مـــرات ٠٠ حتى استوعبها ٠٠ تترسب فى وجدانى ٠
اهيء نفسى للتعامل معها كواقع ٠
افقت على صوت رنين ٠ نظرت الى الرجل ٠٠ الذى وضـــع تليفونا محمولا على اذنه ٠

– ايوه .. نحن فى الطريق .. ماشى .. ماشى .. ماشـــى .. خلاص .. اللى انتم عايزينه .. ما فـيش مشـكلة .. اتفقنا . ثم اغلق هاتفه المحمول .. و نظر الى قائلا .

– معلهش يا بطل .. السفينة اتأخرت شوية فى قناة الســويس .. علشان كده البرنامج اتغير شوية . ها نقعد كام يوم فـــى جمصة ... ثم بعد ان نتلقى التعليمات انها وصـلت الـــى المكان المتفق عليه سوف نلحق بها على طول .

– ماش .. اللى انتم عايزينه .

ولذت بالصمت من جديد .. و ان كان القلق بدأ يتسرب الـــى نفسى . السفينة اتأخرت ... بعد نصف الليل جايين يخـدونى ليه .. طيب ما كان الافضل ينتظروا لحد ما يتصلوا بالسفينة و بعدين يجمعونا .. و لا ايه الحكاية .. جايز يكونوا خـــايفين نتأخر . ربما لكن جمصة .. و كام يوم ليه .. هو انا هاشغل بالى ليه .. هما مسئولين يوصلونا و هما ادرى بشغلهم و لا انا ها فكر بدلا منهم . ده شغلهم و هم ادرى بيه . ثم انها يعنـــى مش اول مرة انا اسمع انهم من زمان بيطلعوا ناس .

توقفت السيارة .. نظرت حولى .. بدا لى انها مدينـــة .. و نحن على اطرافها .

نزلنا من السيارة و صعدنا الى الطابق الثانى من منزل منعـــزل .. قبل ان يطرق صاحبى الباب فتح له .

– حمد اللـــه على السلامة ·· تفضلـــوا ·

وجدت بالداخل ما لا يقل عن خمسين شخصا ·· كلهـم مثـل حالتى كالمقبوض عليهم و معهم ثلاثا افنديـــة و كـــان رجلـــى رابعهم ·

اخذ واحد منهم كشفا بيده ·· و اخذ ينادى على اسمائنا واحـــدا بعد الاخر · حتى اذا تأكد من تواجدنا بالكامل طلب من كل منا جواز سفره ·· و بعد ان جمع كل جوازات السفر اعلمنا انهـــا سوف تسلم الى اهالينا بعد الوصول سالمين ان شاء الله · ثـــم القى بتعليماته الاخيرة ·

– سوف نترككم الان ·· انتم فى مكان مهجور ·· بعيد عـــن العمران ·· حتى لا تعرف الحكومة عنكم شيئا ·

ممنوع الخروج ·· او التحدث مع اى احد ··· اذا كان و لابد عايزين تاكلوا او تشربوا يخرج واحد او اثنين بالكثير و بالليـــل يشترون اللى انتم عايزينه من غير ما يحس بهم اى مخلوق ·· انتم احرار ·· السفر كله متوقف على السرية و عدم معرفة اى مخلوق بمكانكم و عندما تصل الينا الاخبار عن موعد وصـــول السفينة سوف نحضر اليكم لنوصلكم اليها بالسلامة ·

– طيب يا حاج انتم جبتونا من البيت للنار كده · قاطعه الرجل بلهجة حادة ·

– يعنى ايه ياخويا من البيت للنار ٠٠ احنا من اول يوم و اتفاقنا واضح كويس قوى ٠٠ ٠٠٠ اننا لم نحدد لكم مواعيد و قلنا ساعة ما نطلبكم نلاقيكم جاهزين و بعدين يا اخويا اللى مش عاجبه يا للا بالسلامة فيه غيره الاف عايزين ٠

عند ذلك صرخ المتحدث به ٠

– يا عم احنا قلنا لك حاجة ٠٠ انا عايز اقول ان معظمنا يعنى ما جبش فلوس معاه ٠٠ و اللى جايب يعنى موش كتير ٠ وانت سيد العارفين ٠٠ القاعدة عايزة اكل و شرب و الذى منه ٠

– اه ٠٠ فهمت ٠٠ لا احنا مالناش دخل بالامور دى ٠٠ لموا من بعضكم ٠٠ وهاتوا الاكل و الشرب كفاية قوى احنا دافعين ايجار السكن ٠٠ و ده ماكانش من الاتفاق كمان ٠ كده خلاص ٠٠ و نادى على رجاله ٠٠ و خرجوا معا ٠٠ و اغلق الباب خلفه ٠٠ و رحلوا بالسيارة ٠

جلس كل منا مكان وقوفه ٠٠ صامتا ٠ و ساد الصمت لحظات طالت حتى تصورت انهم جميعا راحو فى النوم ٠

الذى جافانى ٠ وقفت ٠٠ احرك قدمى ٠٠ اضأت نور الحجرة ٠٠ فوجدت معظمهم نائما فى مكانه ٠٠ و بعضهم جالسا الى نفسه ٠ ذهبت الى دورة المياه ٠٠ و لم اجد بها ماء ٠

واخذت استطلع الشقة ٠٠ و انا عائد ٠٠ حجرتان و دورة مياه ٠٠ لخمسين واحد و يزيد ٠

****

بعد ثمانية ايام ٠٠ عانينا فيها من الجوع و العطش ٠ حتى نفدت فلوسنا جميعا ٠ و لم يعد لدينا ما نقتات به ٠٠ حتى كنا نأكل اوراق الاشجار ٠ فكر بعضنا و انا منهم ٠٠ خلال هذه المدة بالعودة الى ديارنا ٠٠ ورفض تكملة الرحلة ٠٠ فأذا كانت البداية و نحن فى بلادنا هكذا ٠٠ فماذا اذا وصلنا الى بلاد الغربة ٠٠ و البعض الاخر كان يرى انها من البداية عملية انتحارية ٠٠ و كلها من البداية الى النهاية مغامرة ٠٠ تهريب ٠٠ فما علينا الا التحمل٠

فانها ان نجحت عوضتنا عن كل شيء ٠٠ و نقلتنا نقلة كبيرة ٠٠ وان فشلت فالنهاية هى الموت ٠ و الموت فى هذه الحالة ٠٠ و نحن نحاول خير من الموت جوعا فى بلادنا ٠٠ او نموت و نحن احياء ٠٠ هى دى عيشة اللى احنا عايشينها دى ٠٠ شباب زى الورد ٠٠ متعلم ٠٠ ومخلص تعليم و مش لاقى شغل ولا مشغلة ٠٠ طب ها نعيش ازاى ٠٠ ها نفتح بيوت ازاى ٠

النهاية فى كل الاحوال متساوية ٠٠٠ زى بعضها ٠ ثم اننا لو عدنا ها نجيب الفلوس منهم تانى ازاى.دى كلها جاية بالسلف و الدين ٠٠ ومنا اللى ملاقاش حد يسلفه باع أرضه ٠٠ ولا بهايمه ٠٠ و اللى باع سيغة اخته ولا امه ٠ نرجع ازاى بس ٠ الى ان

عجزنا تماما عن اتخاذ قرار ٠ عندها ظهر الرجل و معه اثنان من رفاقه ٠

كان ذلك بعد منتصف احدى الليالى التى لا نعرف لها تاريخ ٠٠ و قبل ان ينطق اى واحد منا بكلمة ٠٠ قال بلهجة آمرة ٠

– هيا يا رجال ٠٠ بعد خمس دقائق بالكثير سوف تصل عربتان نصف نقل لنقلنا الى المركب ٠

وفعلا بعد لحظات سمعنا صوت سيارات تقف امام باب المبنى ٠ فطلب من نصف عددنا النزول لركوب السيارة الاولى متسللين واحدا واحدا ٠٠ و النصف الثانى فى السيارة الثانية ٠ و سبقنا هو و من معه فى السيارة الخاصة به ببضع مترات ٠ حتى اذا وصلنا الى موضع مهجور على شاطئ البحر توقفنا و طلب منا النزول لركوب مركب رأيناها أمامنا ٠ من شدة الظلام لم نتبين معالمها جيدا لكنها بدت صغيرة الحجم كما لو كانت مركب صيد ٠ و تسللنا جميعا إلى اسفل المركب بجانب الالات ٠٠ و اخذت المركب فى التحرك ٠ حتى اذا مضى بعض الوقت انتابنا دوار البحر ٠٠ منا من تقيأ ٠٠ و منا من اصابته الدوخة و نال منا الاعياء جميعا فنمنا كالقتلى ٠ لم نشعر بشىء ٠وعندما استيقظنا ٠٠ صعد بعض منا الى سطح المركب للاستفسار من العاملين عليها عن الامر .اين نحن ؟! و الى اين المسير ؟! و بعد لحظات عادوا و اخبرونا اننا فى طريقنا الى

احدى الجزر اليونانية الصغيرة فى البحر .. حيث ننزل عليها لحين وصول المركب التى ستقلنا الى ايطاليا .. لان المركب الكبيرة التى كان الاتفاق معها على ان تقلنا من مصر لم تصل و خشية من ضياع الفرصة علينا اتفقوا على ان يعدلوا الخطة . و لم يكن امام اى احد منا ادنى فكرة على الاعتراض . فعلام نعترض وهم يقومون باللازم بأنفسهم و من غير اى تدخل من جانبنا .. ثم انهم مصريون زينا ولن يضحكوا علينا . وبعد ثلاث ليال فى البحر .. وصلنا الى ارض معزولة مزروعة بالنخيل .. و توقفت بنا المركب و طلب منا النزول و البقاء فى هذه الجزيرة يومين او ثلاثة حتى تصل مركب تقلنا الى نهاية الرحلة .

****

عندما نزلنا الى الجزيرة .. لم نجد عليها مخلوقا يوحد الله .. ولا مكان نأوى اليه .

ومنين ها ناكل .. و نشرب . حاولنا نستطلع المكان يمكن .. ولعل وعسى نلاقى مكان نتاوى فيه .. او شجرة ننام تحت ظلها .. او اى حاجة نأكلها .. لم نستطيع المسير .. لقد مضى علينا ايام تهنا فى عدها .. لم نذق فيها طعم الزاد . نمنا من الاعياء و التعب و الجوع حتى اذا استيقظنا اخذ بعضنا يفكر

فى وسيلة ٠٠ فكرة توصلنا لحاجة نأكلها ٠ وكـــان طبيعيـــا ان يتجه التفكير الى صيد السمك ٠ ونجح البعض منا فـــى صـــيد بعض السمكات ٠٠ و حاول منا البعض صعود النخل التى رأينا بها بعض الثمار التى لم يتم جنيها فى موعدها فضمرت علـــى شجرها ٠

حتى اذا مرت بنا ثلاث ليال اخرى و فى الرابعة شاهدنا احدى السفن الصغيرة تقترب من الجزيرة ٠٠ حتى اذا وصلتها نـــزل الينا الرجل اياه ٠٠ و لشدة دهشتى اننى تذكرت فجأة اننى لـــم اعرف له اسما حتى الان ٠٠ كالعادة ٠٠ بلغة آمـــرة ٠٠٠ لا تترك مجالا لنقاش او جدال ٠٠

– هيا ٠٠ اركبو ٠٠ خلينا ننهى العملية دى على خير ٠ هيا ٠ و صعدنا صاغرين ٠٠ الى سطح المركب ٠٠ و كالعادة نزلنا الى اسفلها مع المعدات ٠٠ و تحركت السفينة و كالمرة السابقة ٠٠ اصابنا الاعياء و الدوخة ٠٠و نمنا ٠٠ الـــى ان اســـتيقظنا على صوت الرجل و هو يزعق فينا ٠

– انتم نايمين ٠٠ مش كفاية نوم ٠٠ يا الله يا اخويا انت و هو ٠٠ احنا وصلنا ٠٠ انزلوا قبل خفر السواحل ما يشـــوفونا و يمسكونا ٠٠ و لا يضربوا علينا نار ٠

استيقظنا ٠٠ مفزوعين ٠٠ و هرولنا خلف الرجل الى سطح السفينة ٠٠ حيث طلب منا ان ننزل الى الماء زاعما ان المسافة الى الشاطىء بسيطة يا دوب نصف ساعة عوم ٠

– المركب هاتلف راجعة ٠٠ و اللى مش ها يلحق ينزل هو حر ٠٠ انا مش مسئول ٠٠ ها ارميه فى الميه ٠٠ و الا يرجع معانا تانى هو حر ٠

واخذنا نتسابق فى القاء انفسنا فى الماء ٠٠ و نشجع بعض بما تولد بيننا من الفة خلال المدة السابقة ٠ و بكل الرغبة فى وضع حد للمعاناة التى مررنا بها ٠٠ و امل فى الوصول ٠ نزلنا الى الماء غير عابئين بشىء ٠

– هيا يا رجال ٠٠ و اللى بيعرف يعوم ها يساعد اللى مش عارف ٠٠٠ و كده ٠

****

فى صباح باكر ٠٠ و الشمس آخذه فى الصعود من مرقدها لتحتل مكانها المعتاد ٠٠٠ فى علياء السماء مرسلة اشعتها لتضىء الكون ٠٠ مبددة ظلام الليل السابق ٠٠ و ناشرة الدفء. على بقعة من ارض اليابسة مهجورة ٠٠ اخذ الشبان يتوافدون على الشاطىء ٠٠ و كلما وصل واحد منهم وقف منتظرا ٠٠ و ناظرا الى البحر ٠٠ مستطلعا موقع من بقى فى الماء ٠ حتى اذا توقف وصولهم اخذوا يتفقدون بعضهم البعض.

تبين لهم ان عددهم ناقصا فردا واحدا ، فأنتشروا يبحثون عنه في الماء ٠٠ و على الشاطيء . لعله يكون قد وصل الى موضع بعيدا عنهم ٠

وبينما هم كذلك اذا بواحد منهم يصيح ٠٠ مشيرا الى الماء ٠

– جثة عايمة هناك ٠

فتجمعوا ٠٠ ونزلوا الى الماء و احضروا الجثة الى الشاطيء. وتأكدوا انها لواحد منهم بعدما تعرفواعليها٠اخذ البعض منهم يبكى ٠٠ و البعض الاخر غلبه الحزن و الصمت و قلة الحيلة٠ و بينما هم كذلك اقترب منهم شيخ يرتدى زيا عربيا ٠٠

– ما لكم يا شباب ٠

– لقد مات واحد منا ٠

– و كيف مات منكم ٠

– لا نعرف و الله يا حاج ٠

و عندما أفاق بعضهم ٠٠ اين نحن ؟! و من اين هذا الرجل الذى يتحدث العربية فى ايطاليا ؟! سأله احدهم٠

– انت مين ياحاج ٠٠ و بتعمل ايه هنا ؟!

– انا اسمى ميلود ٠٠ و انا هنا لانى كنت خارج للصيد على مركب هناك ٠٠ و اشار اليها و عندما شاهدتكم ٠٠ فكرت ان استعين بأحد منكم يعمل معى ٠

- احنا فين يا حاج ٠

- انتم فى لبييا ٠

صرخوا جميعا و هم يقعون على الارض ٠

((الحـــاج فهمـــــي))

****

أوشك النهار على نهايته ٠٠ تسترت الشمس خلـف السـحب الحبلى بماء المطر ٠ التي تجمع شتاتها من كل حدب و صوب. حتى غطت وجه السماء بارديه ثقال ٠ أخذت الرياح تشد مـن عزمها ٠

رزاز خفيف ٠٠ تعبث الرياح بخيوطه ٠٠ فتبعثره كيفما تشاء. رفع الرجل هامته ٠٠ و ((الشقرف)) في يمنـاه ٠٠ عنـدما أحس بنقاط الماء تلفح أديم وجهه ٠ رفع ناظريه إلى السماء ٠ أدرك أن السحب معبأة بالمطر ٠ و عليه الإسراع بالعودة قبـل أن تزداد كثافة المطر ٠ تطلع حوله على امتـداد البصـر ٠٠٠ بساط سندسي اخضر ٠٠ من نبات البرسيم و القمح ٠و لم يلمح إلا عددا محدودا من الرجال متناثرين في الحقول و آخرين أقل عددا يشقون طريقهم عائدين فرارا على الطريق المـؤدى إلـى القرية على متن دوابهم ساحبين خلفهم ماشيتهم ٠ مـد قامتـه يصلب ظهره ٠٠ أخذ يجمع ما حصده من أعـواد البرسـيم و يضعها على ظهر الحمار حتى أنتهي منها ٠ فك مقـوده ٠٠ و لكزه بيده لكزة خفيفة طالبا منه المسير ثم أتجه إلى الماشـية ٠

فك الحبال التي كانت تربطها بساق شجرة قديمة و أخذ يقودهــا لاحقا بالحمار الذي سبقهم على طريق العودة ٠
بخطوات رتيبة ٠٠ يمضى الموكب صامتا ٠
لم يدرك أبو سالم سببا محددا٠٠ لما ينتابه اليوم مــن إحســاس بالآسي و التعب ٠ حقا لقد تجاوز الستين مـــــن عمره ٠٠ لكن ما زالت صحته جيدة و يعتمد علي نفسه بشكل كبير فـــي فلاحة الأرض ٠ نعم لديه من الأولاد خمسة ذكور و ابنتـــان و كلهم تزوجوا و يعيش معه أربعة من الصبيان و الخامس المتعلم منهم في المدينـــــة و البنتان بنفس القرية في بيوت أزواجهم. لكنه ما شعر يوما انه ذو عزوة من الأولاد فلم يكد يشعر بأنهم كبروا و عليه أن يؤهل نفسه للراحة حتى وجدهم يتسربون من بين يديه للعمل بالخارج ٠ بدأت بالكبير الذي ما لبث أن اخــذ معه الذي يليه و هكذا حتى أكتمل عددهم ٠ صحيح أن قــدري أصغرهم و الوحيد الذي أخذ حظه من التعلـيم حتـى أصـبح محاسبا و تزوج من المدينة و عاش بها إلا أن اخوتــه أخــذوه معهم ٠ و منذ ذلك الحين آي ما يقرب من خمس عشرة سنة و اكثر لم يجتمع معه في وقت واحد اثنين منهم ٠ و أن تواجــدا ففي إجازة للراحة و معاشرة زوجــاتهم ٠٠ حتـى إذا حملـن تركنهن و سافروا و يتبقى هو وحده يحمل أعبــاء الجميــع و زراعة الأرض و لو أن أولادهم كانوا كبارا لهان الأمر و كان

فيهم العوض إلا أن الأحفاد كلهم صغار و الكبيـــر مـــنهم لـــم يتجاوز عمره السنوات التسع ٠ و أن كان الأمر يلزم في وقت زراعة القطن الاستعانة بالأولاد و أمهاتهم في نقـــاوة اللطـــع و جنى المحصول حتى عندما اتفق الأولاد على هدم الدار و إعادة بنائها بالمسلح كان اتفاقهم مع بعضهم و هم بالخارج و أبلغوني على شريط كاسيت برغبتهم هذه ٠ و عندما بدأ العمل في الهدم و البناء لم يتواجد منهم إلا اثنان بالتناوب ٠ وحملـــت العـــبء الأكبر معهم ٠ حتى إذا سافروا جميعا قمت أنا وحدي باستكمال البناء و تشطيب دورين مـــــــــن الأدوار الخمسة و كل دور على شقتين في عين العدو ٠ لكل واحد منهم شقة و أنا و أمهم شقة مستقلة بالماء البارد و الساخن و الكهربـــاء ٠ زي بتـــوع البندر تمام ٠

ازدادت حدة رخات المطر ٠٠ حتى قويت خيوطه على مواجهة الريح ٠٠ و استقامت ٠

استعان الرجل بجوال خاو ((الغبيط)) وضعه علـــى كاهليـــه الذين بدأ اثر الزمن و أعباء الحياة تجنح بهمـــــا ٠

ساترا رأسه ٠٠ و نصف جسمه الأعلى ٠

رغم أن الطريق به اثر مطر سابق ٠٠ إلا أن صـــلابة الأرض جعلت رخات المطر تفرش أديمها فتبدو لامعة ٠٠ لزجة تسبب التزلج ٠ فأخذ يزداد حرصا كلما رفع قدما و انـــزل أخـــرى و

يتمهل في مسيره حتى لا تتزلج الماشية خلفه ٠ ممنيـا الـنفس بقرب الوصول إلى الدار ٠٠ حيث الدفيء و الغذاء الدسم ٠

حقا تحسنت الحالة بعد سفر الأولاد ٠٠ اصبح الخير كثيـرا و البيت دائما عامرا ٠٠ لكن الذي يكدره و يقلـــق مضـجعه السهر(ليلاتى) أمام التليفزيون للفرجة على ما لم يسمح لنفسـه حتى هذه اللحظة بمشاهدته من قنوات أجنبيـة و غيرهـا ٠٠ لدرجة أن كل واحد منهم قال إيه جايب دش بالشيء الفلانى ٠٠ طب كفاية واحـد قالوا يا آبه لازم كل واحد يبقى له بتاعه علشان يبقى حر في اللى هو عايز يشوفه ٠ و هاتك يـا سـهر صباحى ٠ من متى يسهر الفلاح صباحى ٠٠ ده أنا و أمهـم يادوب نصلى العشاء ٠ و نقول فينك يا سرير ٠٠ صيف و شتا ٠و من النجمة نصحى نصلى حاضر ٠٠ و نشوف حالنا ٠ في البداية كنت احرص على صحيانهم ٠٠ وأخبط عليهم لغاية مـا اصحيهم كلهم بالذوق و العافية ٠

لكن غلبت و غلب حالى معاهم لغاية ما تعبت و بطلت أصحى حد ٠٠٠ يصلوا و يشوفوا شغلهم ٠ بقيت اصحى أنا و زوجتى نصلى و نفطر و نشرب الشاى و كل واحد يشوف حاله على ما يصحو تكون كل حاجة خلصانة ٠٠ و أيام المدارس اللى بيروح المدرسة منهم ييجى ينام عندى ٠٠ اصحيه ٠٠ يفطر معانـا و يروح مدرسته بدرى علشان الهانم امه ما تقومش من نومهـا ٠

هيه يا فهمى ادى اخرتها ... كل وقت و له اذانـــه . حينمـــا وصل إلى داره .. ادخل البهائم إلى الحظيرة .. و عندما اخذ في انزال حمل البرسيم من على الحمار لحقت به زوجته ... اخذت تساعده .. حتى إذا فرغا .. ربطا المواشى إلى الطوالة .. و وضعا امامهما بعض البرسيم الذي يكفى طعامهم حتـــى الصباح . و صعدت خلف زوجها إلى شقتها حتى إذا وصـــلت بابها نادت على واحدة من نساء ابنائها و طلبـــت منهـــا حلـــب المواشى . و احضار إحدى الطواجن إليها ليشربا منـــه بعـــد العشاء . و عند الإفطار في الصباح . بعد أن انتهى الرجل من الاغتسال و الصلاة كانت قد أعدت العشاء الساخن و وضـــعت براد الشاى على النار . لاحظت عليه عدم الإقبال على الطعام سألته :

– مالك يا حاج فهمى ؟

– هيه ... كبرنا .. و ما عدش فينا .. و عيالنا كلهـــم بره . وان جرى لي حاجة مين اللى يزرع الأرض .. يا حاجة .

– ربنا يعطيك طولة العمر يا حاج .

– ماشى .. و بعدها .. الأرض مين ها يزرعها ؟

– اولادك .. و اولاد ولادك يا حاج .

- اللى بيناموا لوش الفجر ٠٠ و يصحو على اذان الظهر يا حاجة ٠

سكتت المرأة ٠٠ فماذا تقول ؟! و سكت الرجل ٠٠ فكفاه ما هو فيه من هم ٠٠ لم يحملها معه الهم ٠ نظرت اليـــه ٠٠٠ فـــي انكسار و حيرة ٠

فذلك هو الأمر الواقع الان حقا ٠ لكن ذلك لا يعنـــى أن الأولاد حين عودتهم سيتخلون عن الأرض ٠

- بكرة يرجع الأولاد و يشوفوا حالهم ٠٠ يعنى ها يفضـــلو بره طول عمرهم ٠

- اللى اتعود على السفر ٠٠ و السهر ٠٠ و لبس الجلاليب البيضه و النوم لغاية الظهر !؟ ده أنا عمرى مـــا لبســت الجلابية البيضة إلا و أنا رايح الحجاز و بعد مـــا جيــت قلعتها عن يدك و ما لبستهاش تانى ٠

- الزمن بيتغير ياحاج ٠

- هيه ٠٠ ما عدتش عارف ٠٠ الزمن هو اللى بيتغير ٠٠ و لا احنا اللى بنتغير يا حاجة ٠

عند هذا الحد ٠٠ نهض الحاج فهمى من جلسته و القى بجســـده على فراشه ٠٠ و تدثر بحمل الصوف الذي صنعه مـــن وبـــر

صوف الغنم . و لم يغيره بـــالرغم مـــن الحـــاح اولاده علـــى استعمال البطاطين المستوردة .

فرد طوله على الفراش .. اغمض عينيه ملتمســا الراحـــة و السكينة .

((تحـــت المطـــر))

****

ما كاد الليل يبسط جناحيه ٠٠ شاملا الكون في ظلامه الدامس .. حتى أخذت السحب الحبلى بماء المطر ٠٠ تبـذر ٠٠ رذاذا خفيفا ٠٠ تعبث الرياح الباردة ٠٠ بخيوطه ٠٠ الممتدة بـين السماء والأرض ٠٠ فتتلوى ذات اليمـين و ذات الشـمال ٠٠ أحكمت الجاكت على كتفـي ٠٠ قفلتـه عنـد صـدري ٠٠ و أسرعت الخطى عائدا إلى دارى ٠ محاذرا أثناء السـير مـن انزلاق قدمي في الوحل الذي خلفه المطر على الطريق ٠ على ضوء سيارة مقابلة ٠٠ رفعت رأسي استطلع موقعي ٠

سيدة تسبقني بخطوات قليلة ٠٠ تنتعل خفا يكشف عن كعبـين متشققين ٠٠ ذات ثوب بال قصير بالكاد ٠٠ يصل إلى نصـف ساقيها ٠ على رأسها وشاح قديم خفيف ٠ تحمل علـى كتفهـا الأيسر ٠٠ طفلا رضيعا ٠٠ لا يستره إلا ملابس تظهر اكثـر مما تستر ٠٠ ينظر في ابتسام ٠٠ إلى أخيه الأكبر الذي تمسك أمه بيده ٠٠ تجره خلفها ٠٠ و بيده كيس بلاستيكى يشف عـن بعض أرغفة من الخبز ٠

يتضاحك الطفلان في براءه و انشراح ٠ أسرعت في خطـوي حتى تجاوزتهم ببضع خطوات .. رنـوت إلـيهم .. صـدمني وجهها الشاحب الضامر٠

بتلقائية وجدت يدي تبحث في جيوبي عن اكبر ورقة مالية معي . نسيت حرصي على إحكام ثيابي .. خشية البرد . لم أفكر في مدى احتياجي لما معي من نقود .. حتى إذا عثـــرت عليهـــا .. كانت قد تجاوزتني هي و أطفالها ٠ أسرعت إليها مناديـــا ٠

– يا حاجة ٠٠ يا ست ٠٠ لحظة من فضلك ٠

توقفت و التفتت إلى مستفسرة ٠

– إيه ٠٠ يا أستاذ ٠٠ عاوز حاجة ٠

مددت لها يدي أريد أن أصافحها ٠٠ و اترك في كفها ما معي.

فهمت مقصدي على الفور ٠

أشاحت بوجهها وأخذت في السير ٠

– لا يا أستاذ ٠٠٠ متشكرة ٠٠ ما بنخدش حاجة من أحد ٠

أدركت الطفل ٠٠٠ خلفها ٠٠

– خد ٠٠٠ أنت يا شاطر ٠

جذبته إليها ٠٠ زاعقة ٠

– مـــا تاخدش حاجة يا وله ٠ و غدت في الســـير حتـــى سبقتني بخطوات ٠

وقفت مكاني مشدوها ٠٠ فاغرا فاهي ٠ و يدي ممدودة قابضة على الورقة المالية ٠٠٠ لحظات أفقت منها على رخات المطر.

((لن أبيـــعها ابــدا))

****

عندما دخل عليهم الحجرة ٠٠ كان الســكون مخيمــا ٠ الليــل
بادىء في نشر ستائره السوداء ٠
والده ٠٠ جالس على الاريكة المتعامدة مع اريكتين اخريين من
اطرافها . وقد ثنى ركبتيه واسند ذقنه اليهما .
منكمشا على نفسه ٠ و بجواره على نفس الاريكة جلست والدته
ساندة ظهرها الى مسائد الاريكة ٠ و قد لوت جــذعها ناحيــة
الوالد ٠٠ و قد ارتكنت بمرفقها على المسند ٠٠ و يدها علــى
خدها ٠
القى السلام عليهم و جلس على طرف الاريكة القريبة منه و قد
وضع ما كان يحمله بيديه جواره ٠
اعتدلت الوالدة فى جلستها ٠٠ و بقى الوالد علــى حالــه ٠ لاذ
بالصمت ٠٠ لعله ٠٠ يلتقط انفاسه ٠ او يرتب ما يريد قوله فى
ذهنه ٠ و الابصار محدقة بأتجاهه فى ترقب ٠
بدأ اخواته في التوافد على الحجرة ٠٠ بعدما علموا بوصــوله.
دخل ابراهيم اولا ٠٠ و تلاه على ٠٠ ثم زينات ٠٠و سعدية و
تراصوا على الارائك ٠٠ و كلهم ترقب لما سينطق به اخــوهم
سليمان ٠ استمر الصمت لحظات بعد جلوسهم الــى ان قطعــه
الاب ٠

- هات ما عندك يا حكيم ٠

حيث كان يطلق عليه لقب سليمان الحكيم ٠

- بعد ما اخذت كل التحاليل و الاشعة ٠٠ و ذهبت بها الى الدكتور ٠٠ الذى اخذ يتأمل فيها و يفكر و تركنى جالسا امامه لا يقل من ربع ساعة صامتا ٠ و بعدها نطق و قال ٠٠ اما مكم واحد من اثنين ٠٠ اما الزراعة او الاستسلام لقضاء الله ٠

- رددوا جميعا ٠

- سبحان الله ٠

- والزراعة دى هتتكلف كتير ٠٠٠ قد ايه يعنى ٠

- اولا ٠٠ لا توجد سوى مستشفى واحدة الى بيتعمل فيها العمليات دى هنا ٠ او السفر الى القاهرة ٠ و ثانيا التكلفة كتير ٠٠ كتير ٠

- يعنى كام ٠٠ عشرة الاف ٠٠

- لا ٠٠ مئات الالاف ٠٠ ثلاث اربع مئات ٠

شهقوا جميعا ٠ يكاد ان يكون فى نفس واحد ٠ انكفىء الوالد على نفسه اكثر ٠٠ عاد و اسند ذقنه الى ركبتيه ٠

فأبنه سعفان ٠٠ ذراعه الايمن ٠٠ اول فرحته فى الاولاد طول عمره و من صغره و ايده على ايده فى كل حاجة ٠ هو اللى زرع و قلع ٠٠ و حرث و بذر معاه و بقية اخواته كانوا

صغار و لما كبروا ٠٠ هو الى كان شايل الحمل اكثر ٠ و لما سكن اخوه سليمان فى المدينة ليكمل تعليمه ٠٠ هو اللى كـــان بيشيل له سلال الزوادة كل كام يوم علـــى كتفــه و ياخــد لـــه المصروف و يروح يوديه له ٠ عمره ما قال لا يا ابه ٠ و لما كبر و بقى فى سن الجواز حلف ما يتجوز قبل اخته زينـــات و اقسم يمين الـــلــــه ما يتجوز قبل ما يفرح بيها فى بيت عدلها ٠ و بعد ما اتجوز و بقى عنده عيل و اثنين و اتفتح باب الســـفر للاردن و العراق ٠٠٠ كان ييجى ايام ما يكونش فيه شغل ٠٠ اوكان الشغل خفيف شوية ٠٠ يسافر يجيب قرشين و لما يحـــل ميعاد الشغل الاقيه لوحده جاى ٠٠ زى ما يكون كان بيحسبها و هو هناك ٠

و كل اللى يجيبه يحطه فى ايدى من غير ما يطلب اى حاجة ٠ و تعب معانا و شقى لغاية ما بقت حتتين الارض بتوع الاصلاح سبعة فدادين ٠ و بيـــت بالمســـلح اربعـــة ادوار ٠٠٠ و بـــدل الجاموسة فى الدار اتنين و ثلاثة بقرات ٠ و بعد ما بقى عنـــده خمس عيال ٠٠ اللى منهم بيتعلم ٠٠ و اللى لسه صغير ٠٠ يقع منى كده ٠٠ مرة واحدة ٠٠ يا حبة قلبى يا سعفان ٠٠ كنت انا مكانك يا بنى ٠٠ اقله انا فاضل لى ايه فى الدنيا ٠٠ انما انـــت لسه قدامك يا ما ٠٠

جرت دمعتان ساخنتان من عينيه ٠٠ شقتا لهم طريقا على خديه حتى شاربيه ٠ دس وجهه بين ركبتيه حتى لا يرى اولاده دموعه على خده ٠ عند تحركه احست به زوجته فنظرت اليه بعينيها الدامعتين ٠ ساد الصمت ٠٠ و الظلام ٠

لم يجرؤ احد ان يخرق اى منهما ٠ بعض الوقت ٠ و كل منهم منطوى على نفسه باكيا ٠٠ او مغالبا حزنه ٠ حتى قال لهم الاب ٠

– قوموا اتعشوا ٠٠ و صلوا و ادعوا لاخوكم و ابقوا تعالوا علشان نشوف ها نعمل ايه ٠

****

جلس الرجل وحيدا بعد ما قامت زوجته لتعد لهما العشاء.

يعنى الحكاية كده تاخد لها فدانين و اللا ثلاثة ٠٠ نبيعهم و نزرع لسعفان الكبد ٠ ايه يعنى ثلاث فدادين ٠ ما هو البنى ادم مننا هو اللى بيجيب القرش ٠٠ و هو اللى جابهم اصلا ٠ الحق حق الله ٠٠ هو اللى جابهم ٠٠ يعنى اخواته حتى مش من حقهم يورثوا فيهم ٠٠ لكن ايه اللى هيتبقى يا شيخ رمضان ٠ فدانين ٠٠ ها يعملوا ايه لاربع ٠٠٠ خمس عيلات ٠٠ كل عيلة منهم مش اقل من خمس ستة انفار ٠ اه يا رمضان ٠٠ اه ٠٠ وانت عايش ها تبيع الارض بنفسك ٠٠ يادى العار عليك يا راجل ٠ طب ان ما بعتش الارض ٠٠ ها نعالج الواد ازاى ٠

ما هو لو فيه مستشفيات حكومية للعمليات دى ٠٠ كنا ودينـــاه واحدة منهم لكن اعمل ايه دلوقتى ٠ اسيب ابنى يموت كده بين ايديه و انا مستخصر ابيع له فدانين و لا ثلاثـــة ٠ مـــا تغـــور الارض و ريحتها ٠ و يعيش سعفان لمراته و اولاده لما يربيهم و يكبرهم ٠٠ و يجوزهم كمان و يشوف احفاده زى ما انا شفت ولادهم ٠ هو فيه هناك حل تانى ٠ ما فيش اى حل غير كـــده ٠٠ اقول ابيع البهايم يعنى بالعافية ما يكملوش عشر المطلوب ٠ ارهن الارض ٠ طب فين اللى يقبل و يعطينى ٠ عنـــد ذلـــك حضرت زوجته ٠٠ تحمل بين يديها صنية متوسطة ٠٠ عليها طعام العشاء ٠٠ وضعتها بجانبه على الاريكـــة ٠٠ و جلســـت قبالته .

– كل لك لقمة ٠٠٠ يا شيخ ر ضـــان ٠٠ انـــت مـــاكلتش كويس فى الغداء ٠

– هو بعد ده حد له نفس ياكل يا ام سعفان ؟ !

– كل يا خويا ٠٠ قوى نفسك هو يعنى عدم الاكل ها يعمل لك ايه ٠٠ ها يشفى الجدع يعنى ٠ ارمى حملـــك علـــى اللى خلقك و هو يدبرها ٠

– و نعمه بالله ٠

واعتدل فى جلسته ٠ مد يده ٠٠ رمى فى حلقه بعض لقيمات لم يعرف لها طعما ٠٠ و لم يقدر على بلعهما ٠٠ فتجرع بعـــدها شربة ماء ٠ و قال لزوجته ٠

– شيلى الاكل ٠٠ و لما اولادك ييجوا ابقى اعملى لنا دور شاى ٠

قال لها ذلك و عاد الى جلسته السابقة ٠

****

توالى وصول الاولاد بعد العشاء ٠٠٠ حيث رأت زوجته مـــن الافضل بعد زواجهم ان يستقل كل منهم بمعيشته مع زوجته ٠ حتى لا تحدث مشاكل بين النساء و تنعكس بالتالى على علاقـــة الابناء بعضهم و بعض .. وعلى ان تتولى هى المساواة بيـــنهم فيما يتم اعداده للطعام سواء جلب من خارج البيت او تم توفيره من داخل البيت حيث تقوم النسوة بتربية الطيور ٠٠ و اعـــداد منتجات البان الماشية ٠

وكان المبكر فى الحضور سليمان ٠٠ حيث اراد ان يجلس مـــع والده قبل حضور اخوته بعض الوقت ٠

– اردت ان ابين لك انت و امى الامر على حقيقته قبـــل ان يحضر اخوتى ٠٠ حتى يكون الكلام معهم على نـــور ٠ فالامر يتطلب اولا ٠٠ متبرع بجزء من كبده و قد افهمنى الدكتور ان ذلك يتطلب ان يكون المتبرع احد اخوتـــه او

اقرباءه لكى يكون هناك توافق بينهما و حتى يمكن لجسم المريض قبول الجزء المزروع فيه ٠ و بعد توفر ذلك حيث انا اول المتبرعين لان فضل سعفان على لا يمكن ان انساه او انكره ٠ مع العلم ان التبرع سيكون بفص واحد من الكبد الذى يتكون من ثلاث فصوص ٠ و من حكمة ربنا ان الكبد بعد العملية عند المريض و المتبرع سوف ينمو حتى يعيد تكوين باقى الفصوص الثلاثة ٠ يعنى بعد عمر طويل و العمر لك يا بـا ٠٠ ربك هـا يسترها مع المتبرع و ما فيش مشكلة ٠ ٠ انما المشكلة الحقيقية هى ان المريض بعد العملية بيحتاج علاج مستمر قد يكون من الفين الى عشرين الف فى الشهر مثلا حسب حالته الصحية ٠٠ هذا بجانب تكاليف العملية ٠ هذا ما اردت ان تعرفه و بعد ذلك يا ابى الامر و الرأى لك ٠٠ و يكون فى علمك انت و امى و ربنا شاهد ٠ اننى بكل اخلاص و سلامة نية لن اتنازل عن ان اكون اول واحد يتم فحصه و اذا كان هناك توافق سأكون بعون الله اول المتبرعين ٠ مش كده و بس ٠

واخرج من جيب جلبابه منديل مصرور على مصاغ زوجته و بعض الاموال ٠

– و ده كمان كل اللى احتكم عليه انا و مراتـــى • تحـت امرك يا با •

و قام و وضعه فى حجر ابيه عند ذلك فرت الدمعة مـــن عـــين الوالد و قامت الام و احتضنت ابنها و هى تبكى •

– ربنا يخليك يا بن بطنى •

– ربنا يخليكم لنا و يشفى سعفان • احنا لحم اكتافنـــا مـــن خيركم •

عند هذا الحد دخل ابراهيم •• و هم ما زالو واقفين • و تبعـــه على •• و البنات •• ثم زوجات اخواتهم • و جلسوا جميعـــا •• و كل زوجة بجانب زوجها • و البنتان متجاورتان و لـــم تحضر زوجة سعفان • بقيت بجوار زوجها فى شقته •

****

بعد ان وضع الشيخ رمضان (صرة) ســـليمان بجـــواره •• اعتدل فى جلسته • و اسند ظهره الى مسند الاريكة •• واخـــذ يجول بعينيه فى من حوله •

الحمد لله •• ربنا يخلى و يبارك •• ولادك يا رمضان ماليين المندرة • و احفادك يملو مندرة تانية ربنا يبارك •

ثم بعد ان تجرع رشفة من كوب الشاى الذى وزعتـــه زوجتـــه على الرجال فقط و اخذت لنفسها كوبا • قال ••

– ربنا يشفى اخوكم •• الفاتحة للنبى •

و اخذوا جميعا يتلون الفاتحة همسا ٠٠ حتى اذا فرغوا قال ٠٠

- اخوكم سليمان فات على الدكتور بالاشعة و التحاليل بتاعة سعفان ٠ و هو اللى هيقول لكم الدكتور قال له ايه هـو محامى و يعرف يتكلم عنى علشان تبقوا كلكم عارفين كل حاجة ٠

فأخذ سليمان يحكى لاخوته عما حدث بينـه و بـين الـدكتور بالتفصيل حتى اذا انتهى ساد الصمت و الوجوم على الجميع ٠ و انطوى كل على نفسه ٠ فالحمل كبيـر و اكبـر مـن كـل تصوراتهم ٠ حتى قطعه الاب ٠

- ما فيش قدامنا غير الارض ٠

قالها بشكل حاسم و قاطع ٠ ثـم صـمت ٠ لحظـات و ادرك الجميع المقصود ٠ فحدث تململ من زوجـة علـى و لكزتـه زوجها خفية الا ان الشيخ رمضان لمحها ٠ و هز رأسه صامتا و هو يرنو اليها ٠

- حد منكم عنده رأى تانى ؟!

لم يجرؤ احد على الرد ٠

- هو عموما ان كان حد منكم لـه رأى تـانى و لا حتـى اولانى ٠

ونظر الى زوجة ابنه على ٠ و استطرد ٠

- فالرأى الاول و الاخير لى انا

قالها زاعقا و رافعا سبابة يده اليمنى ٠

– و انتم كلكم ها تروحو مع اخوكم المستشفى للفحـــص و اللى هيكون متوافق مع اخوكم هو اللى ها يتبرع بأختياره فى الاول و بأختيارى انا برضة ٠ انتم كلكم ولادى ٠٠ و زى ما عشنا فى الاول ايام وحشة و اتحملناهـــا ٠٠ و ربنا قدر صبرنا و رزقنا و عشنا ايام حلوة كنا كلنا فـــى مركب واحد ٠ شايلين بعضنا فى الحلوة و المره ٠

– ولازم نفضل كده و لا فيه حد منكم له رأى تانى ٠

قال سليمان : بعد اذنك يا با ٠٠ احنا كلنا ولادك و ما فيش حد مننا ها يخرج عن طوعك ٠ بس لو سمحت يعنى خلى كل واحد من اخواتى يأخد فرصة يفكر ٠٠ و يشاور مراته و لا يشـــاور نفسه ٠٠ برضه الامور دى الافضل انها تيجى بالرضا ٠

وجدها على فرصة لان يتكلم حتى يرضى زوجته فقال و هـــو يتلعثم ٠

– يعنى برضة يا با ٠٠ الارض هى كل اللى حيلتنا ٠٠ و لو بعناها و لا مؤخذه يعنى ها نعيش ازاى ٠٠ و نربـــى عيالنا ازاى بس يا با و احنا من غير الارض و لا حاجة خالص ٠

ابدت زوجته ارتياحا لكلامه ٠٠ و ربعت ذراعيها على صدرها وصلبت عودها ٠ ناظرة الى زوجتى ابراهيم و سليمان. فتلاقت

نظراتها مع نظرات زوجة ابراهيم الا ان زوجة سليمان اعرضت عن نظراتها .

قالت فى نفسها .. اه .. معاها حق .. هى محتاجة ايه ما هى شغالة مدرسة و بتقبض قد كده على قلبها .. و جوزها محامى .. كل اللى يقول له سلامو عليكم يدفع . الباقى علينا .. ما حليتناش حاجة غير الارض .

عند ذلك لكزت زوجها مرة ثانية .. مؤيدة و مشجعة اياه فى الدفاع عن حقه فى الارض و حق عياله .

– يا على احنا موش ها نبيع الارض كلها .. كل العملية نبيع فدانين او ثلاثة .

هكذا تحدث سليمان محاولا التخفيف على اخيه .

– طيب و هو ها يتبقى ايه بعدها .

– اللى يتبقى يا وله . هكذا صرخ به ابوه .

عند ذلك وجدتها زوجة على فرصة و قالت .

– طب يا با الحاج .. ما نقسم الارض .. و نبيع نصيب سعفان .

عند ذلك هب الشيخ رمضان صارخا .

– نقسم الارض .. نصيب سعفان .. هى الارض دى مين اللى شاريها . مش سعفان بتعبه و شقاه و سفره بره و جوزك لسه عيل صغير بيلعب فى الحارة . اخص عليكى

مره قليلة الاصل ٠ و ايه حكاية القسمة دى كمان .. انت عايزة ايه بالضبط اوعى يكون ده رأى جوزك كمان ٠ و التفت الى ابنه الذى وضع وجهه فى الارض ٠ امام ثورة ابيه ٠

و لم يملك ٠٠٠٠ الا ان يسارع بالانكار ٠

– ابدا يا با ٠ احنا لسة اهو بنتكلم ٠

قال سليمان :

– يا با ٠٠ هدى نفسك ٠٠ المسألة عايزة هداوه ٠

و التفت الى اخيه و زوجته و قال ٠

– افرضوا لا قدر اللـــه ٠٠ ان اللى كان مريض ده علـــى بعد الشر عننا جميعا ٠ كنت هترضى يا مرات اخويا ان مرات سعفان تقول الكلام اللى انت قولتيـــه ده ٠ ثـــم ان كانش فينا خير لبعض ٠٠ ها يكون فينا خيـــر لمـــين ٠ يعنى بعد ان شاء اللـــه اما تتباع الارض لو فضلنا كلنـــا قلبنا على بعض مش ممكن نشترى غيرها زى ما اشتراها ابونا فى الاول؟؟!

قالت امه :

– يسلم فمك يا بنى ، و لعلمك يا على ٠ اخوك سليمان قال لابوك انه هو اللى ها يتبرع لاخوك بكبده ٠٠ و هو جاى

دلوقت جايب كل اللى حيلته و حطه فى حجــر ابــوك ٠

اهوه و رفعت يدها بالصره التى احضرها سليمان ٠

عند ذلك ساد الصمت و الخنوع ٠٠ لغير المقتنع ٠٠ و الرضى للموافق ٠

وقف الاب و قال :

– كلنا دلوقت ها نطلع شقة اخوكم وسليمان ها يعرفه كــل حاجة علشان يبقى عارف ان اخواته قلبهم عليه زى مــا هو قلبه عليهم ٠ و اننا لن نتخلى عنه فى محنته ٠

****

بعد ان عرض سليمان الامر على اخيه سعفان ٠٠ امام الاسرة كلها ٠

والذى ظل صامتا حتى انتهى من كلامه و قال :

– انا مش موافق ٠

بهت الموجودين جميعا ٠ رد سليمان ٠

– مش موافق على ايه ؟

– لا موافق على اننى اعمل عملية زرع ٠٠ و لا موافــق على بيع الارض ٠

صرخ فيه ابوه ٠

– ازاى ٠

– يا با ٠٠ العملية دى كبيرة ٠٠ و مش مضمونة ٠٠ يعنى ها اعيش بعدها كام سنة لو نجحت ٠٠ و ها اعيشهم زى الميت ماشى بالعلاج ٠ يعنى عيشة زى قلتها ٠ لو صحيح ها ابقى كويس و ارجع تانى اسافر و اروح الغيط ٠ انا اللى ها اطلب منكم انى اعملها ٠ المره اللى فاتت لما رحت مع سليمان للدكتور كان فيه مرات واح عامل العملية دى قاعدة جانبى و قاعدة تبكى بدل الدموع دم علشان باعوا كل اللى حيلتهم و فى الاخر الراجل نايم فى السرير على طول مستنى امر الله بين لحظة و الثانية ٠ و بعدين انا عايز اعرف يعنى ٠٠ هو احنا ها نحارب نصيبنا ليه ٠٠

ربنا اراد لى المرض ٠٠ و اموت بالمرض ده ٠٠ و حدد عمرى على كده ٠خلاص ٠

– يا بنى هو انت عارف ربنا حدد عمرك بأيه و لا كتب لك هتموت امته ٠

– ثم اننى مش عل استعداد اوافق ابدا على بيع ٠٠ الارض. اموت و لا تبعهاش ٠ دى مرويه بعرقنا كلنا ٠٠ ياما سهرنا و نمنا فيها و شقينا و تعبنا و احنا بنرويها و نزرعها ٠

لاقى رده ارتياحا من على و زوجته و كذلك زوجة ابراهيم و ان كتمت مشاعرها ٠

عند ذلك قال سليمان ٠

- يا سعفان يا اخويا ٠٠ احنا كلنا فداك ٠٠٠ فدى ظفرك ما يشغلش بالك الارض و خلافه ٠٠ البنى ادم مننا هو اللى بيعمل الارض و هو اللى بيجيب الفلوس ٠
- و يا سيدى ان شاء اللـــه بعد العملية ابقى شد حيلك ٠٠و اشترى لنا غيرها ٠
- لا ٠٠٠ لا ٠٠ لا ٠ بالثلاثة لا ٠ ما تتعبوش نفسكم ٠ يا للـــه يا خويا انت و هو روحوا ناموا ٠

فقال الاب :

- اعمل حسابك بكيفك ٠٠ او غصب عنك ٠٠ احنا الصبح ان شاء اللـــه من بدرى سوف نسافر جميعـــا للـــدكتور لعمل العملية ٠
- الصباح رباح يا با ٠ تصبحوا على خير ٠

و خرج الجميع تاركين سعفان ممددا على فراشه ٠٠ و زوجته جالسة بجانبه ٠ لم تتفوه بحرف ٠٠ و ان ارتسم على وجههـــا ملامح مجهولة الهوية ٠

****

فى الصباح التالى ٠٠ مع بداية اطلال فجر اليوم الجديد و بعـــد ان ايقظت زوجها الحاج رمضـــان و قامـــت بصـــلاة الصـــبح حاضرا. اعدت الافطار لزوجها و اثناء الطعام ٠ طلب منها ان

تصحى سعفان و اخوته ٠ وبعد خروجها بقليـــل ترامـــى الـــى مسامعه صوت صريخ وعويل ٠

هرول الرجل صاعدا الى شقة ابنه وجده ممددا علـــى ســـريره مغمض العينين شاحب الوجه ٠٠ على شفتيه ابتسامة باهته ٠ و قد توقف قلبه ٠

انحدرت الدموع ساخنة من عينيه ٠ وتمتم بشفتيه و هو خـــارج من الحجرة ٠

– رفض بيع الارض .. انا لله و ان اليه راجعون ٠

((من فــوق المنبر))

****

اقترب القارئ من نهاية تلاوته ·· ارتدى جلبابه الصــوفى ·· الذي ورثه عن أبيه ··· دثر قدميه بجورب حارت زوجته في معالجة أثار الزمن به · و انتعل حذاءه ·· الذي حار جــارهم (الصرماتى) في معالجة ثقوبه من اعلى واسفل ·

اخذ يشق طريقه إلى المسجد ·· متجنبا أوحال الطريق الناتجة عن مطر خفيف حدث الليلة الماضية ·

إضافة إلى ما اعتاد أهل الحي إلقاءه بالشارع · تتدلى من يده اليمنى مسبحة ·· أهداه إياها ·· أحد الزملاء العائــدين مـــن فريضة الحج · و شفتاه تتحركان ·· بآيات من ذكر الله الحكيم ·· حسب ما تيسر له · و بعض الأدعية لأولاده بالنجاح فـــي دراستهم ·· ثم ما تيسر له من التسابيح حتى بلـــــــغ بـــاب المسجد · فخلع نعليه ·· ووضع حذاءه في المكان المخصص لحفظ الأحذية ·· و صلى ركعتين تحية للمسجد قبل أن يجلس· حتى صعد الخطيب المنبر ·

لم يعطه انتباهه من البداية ·· فـــالكلام معـــاد و مكـــرر و أن اختلفت شخصية الخطيب · حفظه عن ظهر قلب ·· حتى انه في أيام كثيرة ··· يذهب إلى المسجد و هو يعرف ما ســيقوله

الخطيب ٠ و لولا حرصه على أن ينال ثواب الجمعة كاملا ما ذهب ألا على الصلاة مباشرة ٠

انتبه على صوت الأمام ٠٠ و قد علا صوته إلى الحد الذي أخرجه من شروده ٠

((الجهاد بالمال .. أيها الاخوة المسلمون .. ليصنع كل منكم في منزله .. بين أفراد أسرته ٠٠ صندوقا ... للجهاد ... يتبرع فيه كل يوم لإخوانه في فلسطين و أفغانستان و الشيشان)) صندوق ... نتبرع ٠٠ و كل يوم ٠ من أين ؟؟ !!

نظر إلى الأمام ٠ وجهه الممتلئ .. ازدادا احمرارا ٠ و العرق بدا يطل من جبينه . لحيته طويلة .

حتى تكاد تصل إلى صدره ٠ يرتدى جلبابا من الصوف الثقيل ٠٠ تعلوه ((كاكولا)) من الصوف أيضا ٠ و فوقها عباءة من ((الجوخ)) ٠ كم تمنى بينه و بين نفسه أن ينال شرف امتلاك واحدة منها تعطيه إحساسا بالدفيء ٠٠ و تغطى جلبابه القديم على الأقل ٠

تلفت حوله .. يرقب اثر كلامه على الموجودين .. الناس كأن على رؤوسهم الطير ٠٠ ما بين ناظر بعينيه إلى المنبر و من فوقه و عقله في واد آخر ٠ و ناظر إلى الأرض أمامه في استكانة ٠ و مغلق عينيه مستسلما لغفوه ٠

يمر بين الصفوف في هدوء رجل يحمل بين يديه صندوقا خشبيا محكم الغلق .. مشقوق سطحه الأعلى شق صـــغير .. يســـمح بإسقاط النقود فيه • و هو ينحنى انحناءة صغيرة حتى يكـــون الصندوق في متناول المتبرع • يغيظه بشدة هذا المرور الدوري ففيه إحراج شديد • لماذا لا يضعون الصندوق على الباب ؟؟ و من يريد التبرع يتبرع و هو داخل أو خارج • بدلا من إحراج خلق الله • ثـــم حتى لا يمر فوق رقاب العباد • أليس ذلك من السنة النبوية • أم نتجاهلها حينما نريد • ثـــم ألا يكـــون هـــذا التبرع جهادا يا مولانا ؟! صندوقا في المسجد •• و صـــندوق في البيت •• ثم لاح شبح ابتسامة على شفتيه • و هو يتخيـــل صندوق في الشارع أيضا •• بدلا من صندوق البريـــد الـــذي أختفي •

لو استعار من وزارة المالية أمهـــر خبرائهـــا .. فـــي أعـــداد الميزانيات .. لاعداد و ضبط ميزانية بيته لعجز عن ضـــبطها. فلم يحدث منذ انجب الابن الثالث ووقف عنده .. بالرغم من أن زوجته تساعده بمرتبها كاملا . أن استطاع تـــوفير أي مبلـــغ . حتى بدأت الأولاد في الذهاب إلى المدارس .. و بـــدأت معهـــا الدروس الخصوصية و الراتبان بدأ جهدهما يتناقص عـــن أداء

الدور المطلوب .. فتناقص من آخر الشهر .. إلى العشرين منه .. إلى العاشر .. إلى اليوم الخامس و وقف عندها كل شئ .

وكلما أراد لنفسه شيئا أو أرادت زوجته هي الأخرى أي شئ .. زيادة عن الضرورة .. بل الضرورة القصوى . منى نفسه . أن رزقه اللــه شيئا إضافيا .. كمكافأة ليسـت علـى البـال .. أو منحة. بحذاء جديد .. أو حتى قميص . أو فانلة . فكم ارتـدى ثيابه دونها . ألا انه عندما يحين موعد اقتضاءها يخرج لها مائة جهة صرف .. دواء لولد .. مدرس زاد من اجره . كتاب جديد لابنته . أو أي شئ من هذا القبيل .

((فالجهاد بالمال ... يعادل في ثوابه .. الجهاد بالنفس)) أليس ما نعيشه يوميا .. جهاد يا مولانا من أجل أبنائنا ؟؟ و من اجل استمرارنا في الحياة ؟؟! أين انتم منا يا مولانـا الأمـام ؟! ألا تعيشون مثلنـا أم انتم من دنيا أخرى غير دنيانا . ربما . أنـت من أمثالهم ... الذين تنشر الجرائد أخبارهم و صورهم .. الذين يتقاسمون ما يجمعونه من الناس تحت اسم التبرع لبناء المساجد .. أو الجمعيـات الخيريـة و الدينيـة . تحـت مسـمى .. ((والقائمين عليها)) . قامت قيامتكم جميعا . !!! ثم لماذا تقول هذا الكلام لنا .. لماذا لا تقوله أنت و أمثالك لمن يملكون المال ؟؟ و يسرقونه و ينهبونه . حكى لهم بالعمل يوما زميل من هواة

الاستماع للإذاعات الأجنبية من عدد من كبار المسئولين في الدولة و أبنائهم .. و أرصدتهم التي تبلغ المليارات في بنوك أوربا . فأخذ يضرب كفا بكف .

كان سبب دهشته الحقيقية هو انه لم يكن يعرف .. كيف ... سيقوم هذا المسئول أو نجله .. أو أنجاله .. أو حتى سلاله . سلالات أنجاله .. بأنفاق هذه الأموال . حتى لو أكلوها بنكنوتا فقط . واخذ يصيح في من حوله .

- طب اللي يسرق .. يا خد على قدر حاجته .. أو يزيد شوية لأولاده . إنما بالمليارات .. و بالدولارات كمان .. ليه .. و لمين . و كيف سيصرفونها . و هل ضمنوا اعمارهم .. ولو ماتوا هل ستعود هذه الأموال إلى البلاد أم سيأخذها الاجانب ... يومها ضحكت زميلة .. ضحكة من اياهم .. و قالت :

- ها يخدوها معاهم الأخرة .. ما تزعلش نفسك .

عندها ضج من بالمكتب بالضحك .

اقترب الخطيب من نهاية خطبته العصماء . واخذ يجفف عرقه بمنديل ورقى .. حتى الآن لم ينل شرف استعماله . وكأنما هو خارج لتوه من معركة جهادية طويلة . وأخذ ينهال بالدعاء و المصلين خلفه مؤمنين .. على اليهود .. و الأمريكان .. بصوت

جهوري . وعندما انتهت الصلاة .. واخذ المصلون يغـــادرون المسجد .. انتشر بعض الصـــبية بالخـــارج يوزعـــون بعـــض المنشورات .. الدعائية لعيادات أطباء ... محال جديدة .. ســـلع جديدة . ألقى بالأوراق في الطريق وهـــو يغـــادر المكـــان .. ينتشربعض التجمعات أمام المسجد .. ما بين شـــباب و رجـــال يتبادلون أطراف الحديث بصوت عال .

تعلو بعض الضحكات هنا وهناك . مختلطة بأصـــوات بعـــض الباعة الذين يعلنون عن بضاعتهم .

– الموز .. البرتقال أبو صره .

– أهرام .. أخبار .

بخطوات واهنة .. اخذ يشق طريق العودة إلى المنزل .. كأنما يحمل على كاهليه جبل المقطم .

((حـــــادث تصـــــادم))

كـاد النهـار ان ينتصـف ٠٠ ليـوم صـيفى حـار ٠ خـف الزحـام عنـد محطـة القطـار ٠ الا مـن نفـر قليـل بفضـل الجلوس على مقهى صـغير مقابل للمحطـة ٠ يشغل وقتـه بلعب الطاولـة او الضـمنو ٠٠ و يتسمع لاخبار القـادمين و المسافرين ٠

بعد المحطـة بمسافة قليلـة جسرين صـغيرين ٠٠٠ احدهما للقطار و الاخر لما عدا ذلك من المـارة ٠ بعد الجسـرين بقليل مـع مجرى النهر ٠٠ يوجد مكان متـدرج شـاطئه حتى ييسر للناس و الدواب نزول النهر و الصـعود منـه ٠ فتقوم النسوة بغسل الاوانـى و الملابس ٠٠ و يكثر ايضـا قدوم الصغار و الفتيان للاستحمام بصحبة مواشيهم ٠

لا يدرى عبد السلام الذى يبلغ عمره اثنتـى عشر سنة مـا الـذى دفعـه الـى حظيـرة المواشـى ليصـطحب الجاموسـة الكبيرة ٠٠ و نزع عنه ملابسه ٠٠ لم يتبق منهـا الا بقايا سروال قديم بالكـاد يستر عورتـه ٠ و بعد ان خرجـا الـى الطريق و ثب فوقها ٠٠ يسوقها الـى المكـان المعهود من النـهر ٠٠ للاستحمام ٠ عندما وصل الى الطريق المـؤدى

الى الجسرين ٠٠ سمع صافرة القطار القادم من المدينة و هو يدخل محطة القرية ٠ لا يدرى ما الذى دفعه لحث البهيمة على الاسراع ٠ كأنما رغبة داخلية فى مسابقة القطار ٠٠ او ميلا لمشاهدة القادمين من المدينة ٠

عندما وصل الى جسر القطار ٠٠ سمع الصافرة المؤذنة بالمغادرة ٠٠ لكز الجاموسة لعبور الجسر قبله ٠ أسرعت فى خطوها ٠٠ اقترب القطار ٠٠ تعثرت قدماها فى القضبان الحديدية ٠ أنكفأت على قائمتيها الاماميتين ٠٠ اقترب القطار اكثر ٠٠ صرخ عبد السلام ٠٠ أنتفض الجالسون على المقهى صارخين بسائق القطار ٠٠ تعالى الصريخ و الزعيق ٠٠ خرج من بالنهر ٠٠ تجمع القادمون من المدينة يصرخون بسائق القطار ان توقف ٠

اصطدم بالجاموسة ٠٠٠ القى بها على جانبها امامه على القضبان ٠٠٠ انطرح الفتى بعيدا على الارض ٠ اخذ القطار يدفعها امامه بقطع الحديد التى تتقدمه كصدامات امامية له ٠ احتشد أناس كثيرون على جانبى القطار

يجرون بجانبه صارخين بالسائق ان يتوقف ٠ حتى اذا كان بمقدروه ان يوقف زحف القاطرة ٠

أسرع الناس بتخليص البهيمة من حديد صدامات القاطرة ٠٠ تبين ان جزء منها اصبح اسفله ٠

تجمعوا على القاطرة من الجانبين ٠٠ اخذوا فى رفعها لاعلى ٠٠ حتى اذا تم لهم تخليصها من حديد الصدامات ٠٠ اعادوا انزالها ٠

تعالى الصراخ من كل ناحية ٠

- سكينة او جزار ٠
- السكينة اهى ٠
- ألحق يا راجل ٠
- جزار احسن يا جماعة ٠٠ فين سلامة الجزار ٠
- يا عم انت و هو ٠٠ خلصونا اى واحد يدبح ٠٠ البهيمة هتروح فطيس ٠

ظل التردد لحظات ٠٠ حتى اسرع شاب من الوقوف ٠٠ و اختطف السكين من يد حاملها و اقترب من رقبة البهيمة الملقاة على الارض ٠

- الله و اكبر ٠٠ حلال الله و اكبر ٠

و نزل بـ سكين على رقبتها ٠
اخـذت الـدماء تنـدفع مـن رقبتهـا سـاخنة و الكـل صـامت يترقب
و بعد لحظات خف اندفاع الدماء ٠ فقال احدهم ٠
- اخلو الطريق للقطار ٠٠
فقـاموا برفعهـا مـن علـى القضـبان ٠ و بعـد لحظـات حضرت عربة كارو يجرها حصانان ٠٠ اخذ الرجال فى رفعها اعلى العربة ٠٠ حتى اذا تم لهم ذلك اتجهوا الى القريـة ٠٠ و بعـد خطـوات انتبـه احـدهم علـى بكـاء عبـد السلام فى مكانه القابع به ٠ فصرخ بالناس ٠
- استنوا يا ناس ٠٠ الواد عبد السلام باين عليه مكسور.
و اسرع اليه يتبعه بعض الرجال ٠
- ما لك يا واد ٠
- رجلى ٠
- الواد رجله انكسرت يا رجاله ٠
- احملوه على العربة ٠٠ بالراحة يا جماعة ٠
- واحد يطلب الاسعاف ٠

اسعاف ايه يا عم ٠٠ الوحدة الصحية فى طريقنا و احنا مروحين ٠

((فهرس الكتاب))

صدر حديثا :

انحسار اللون الأخضر	قصص	الحسيني خلف
حبك صعب	شعر	عبد الحكم مندور
عصر الأقمار	شعر	عبد الحكيم مندور
البلبل ولسمكة الفضية	قصص للطلائع	فؤاد حجازى
رايحة البيوت	رواية	أشرف حسن عبد الرحمن
صالون برلين	رواية	السعيد أحمد نجم
رسالتى إليك	شعر	عباس الشرقاوي
تكات الخريف	قصص قصيرة	صابرين الصباغ
إيطاليا أو الغرق	رواية	السعيد أحمد نجم
ما قالته نظرتها الأولي	شعر فصحي	صابر معوض
نهاية رحلة الأحلام	قصص	محمد خيرت حماد

تحت الطبع :

إلى هذا الحد ؟ (ط٢)	قصص	محمد خيرت حماد
احلام على الطريق (ط٢)	قصص	محمد خيرت حماد